ABU ABDO ALBAGL

المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

قصص قصيرة

من الأدب الألمانى

ترجمة و تقديم
أحمد كامل عبد الرحيم

مدونة أبو عبدو

1182

الإبداع القصصى

٤٥٦٥٤

قصص قصيرة
من الأدب الألمانى

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

سلسلة الإبداع القصصى
المشرف على السلسلة: خيرى دومة

- العدد: ١١٨٢
- قصص من الأدب الألمانى
- مجموعة من المؤلفين
- أحمد كامل عبد الرحيم
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٨

هذه ترجمة لمجموعة قصص قصيرة

من الأدب الألمانى

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة.

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

المشروع القومى للترجمة

قصص قصيرة
من الأدب الألمانى

ترجمة وتقديم: أحمد كامل عبد الرحيم

٢٠٠٨

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

قصص قصيرة من الأدب الألمانى / ترجمة وتقديم : أحمد كامل عبد الرحيم ؛ إشراف : جابر عصفور - ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٧

٢١٦ ص ؛ ٢٠ سم - (المشروع القومى للترجمة - سلسلة الإبداع القصصى ؛ العدد ١١٨٢)

١ - القصص الألمانية

(أ) عبد الرحيم ، أحمد كامل (مترجم ومقدم)

(ب) عصفور ، جابر (مشرف)

٨٣٣

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٧٩٥٣

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 437 - 898 - 6

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

أولاً: المقدمة 7

ثانيا: الترجمات

* مارتن أوبيتس

- جمال هذا العالم زائل 11

* يوهان جوتفريد هيردر

– ولاء تحت الاختبار 13

– الحمولة الثقيلة 17

– قاهر العالم 19

– حكمٌ قضائى إفريقى 21

* الأخوان فيلهيلم وياكوب جريم

– المصباح الأزرق 23

- القط ذو الحذاء الطويل 31

* هاينريش بول

– البطاقة البريدية 37

– حكاية طريفة 49

– على الكوبرى 55

– كما فى الروايات الرخيصة 61

* فولفجانج بورشيرت

– ساعة المطبخ 77

- الثلج الكثير الكثير 83
- الملوك الثلاثة المظلمون 89
- الفئران تنام قطعا بالليل 93
- الخبز 101

*** بيرتولت بريشت**

- دائرة طباشير أوجزبورج 107
- الكاتب الروائى 131
- ميزان عائلة باليك 135
- معطف الزنديق 149

*** هانس بندر**

- الذئاب تعود 163

*** يوهان بيتر هيبل**

- لقاء لا أمل فيه 175
- المريض الذى شُفى 179

*** إلزه آيشنجر**

- مسرح النافذة 185

*** إيبرهارد ميكيل**

- الذئاب 189

*** هاينريش فايش**

- سباق بين والد وولده 197

مقدمة

إن هذه القصص القصيرة التى قمت بترجمتها من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية وأودعتها هذا الكتاب هى بمثابة جرعة أدبية متواضعة من الأدب الألمانى قديمه وحديثه، تلمست وتحسست مناسبتها للقارئ العربى ومدى تقبله لها بحكم تخصصى فى اللغة الألمانية وآدابها، وبحكم قيامى بتدريس مادة الأدب الألمانى وتاريخه بكلية الألسن – جامعة عين شمس بالقاهرة على مدى سنوات طوال.

والأدب الألمانى لا يقل عن أدب أية دولة أوروبية، فهو يقف على قدم وساق إلى جانب الأدبين الإنجليزى والفرنسى، وإن كان قد نهل منهما واعتمد عليهما كثيرا واعتبرهما فى فترة من فترات حياته قدوة له، فقامت مدارس أدبية مختلفة تتحاور وتتعارك بغية السير على درب شكسبير أو على درب موليير وانتهت الجولة بالانحياز أساسًا إلى شكسبير، إلى أن جاء العصر الكلاسيكى وعلى قمته عملاق الأدب الألمانى يوهان فولفجانج جوته، فانتشله بإبداعاته وروائع إنتاجه الأدبى الغزير ليتخطى به حدوده القومية إلى آفاق العالمية، ليصبح أدبًا له خصوصيته وذاتيته وقيمته على المستوى

العالمى لتهتم به نصوص العالم المختلفة فتتأثر به وتنهل منه وتترجم عنه.

وشاءت جهودى العفوية أن تمثل هذه الجرعة نماذج من بعض العصور الأدبية الألمانية بدءًا من القرن السابع عشر متمثلاً فى رائد النهضة اللغوية الألمانية مارتن أوبيتس، ثم حركة العصف والدفع متمثلة فى رائدها الروحى يوهان جوتفريد هيردر، فالنصف الثانى من القرن التاسع عشر متمثلاً فى مؤسسى علم اللغه الألمانية ياكوب وفيلهيلم جريم، ثم أدب الحرب وما بعد الحرب متمثلاً فى كل من هاينريش بول وفولفجانج بورشيرت، ثم رائد المسرح الملحمى الألمانى بيرتولت بريشت، ثم العصر الحديث متمثلاً فى كل من هانس بيندر وإيلزه آيشنجر ويوهان بيتر هيبل وإيبرهارد ميكيل وهاينريش فايس.

ولقد استرعتنى أبيات مارتن أوبيتس الشعرية عن الدنيا وزوالها حيث عبر عن ذلك بأسلوب شعرى رقيق أعطانى القوة لترجمة مُقفاة سلسة، أما قصص هيردر فكلها ذات خلفية دينية يخرج المرء منها بموعظة ويتضح منها تأثره بالشرق الإسلامى دينًا وحضارة، ثم تأتى قصص فولفجانج بورشيرت وهاينريش بول عملاقى أدب الأنقاض حيث تجىء أولاً قصص بول وهى "البطاقة البريدية" و"حكاية طريفة" و"على الكوبرى" و"كما فى الروايات

الرخيصة"، ثم تجيء قصص بورشيرت وهى "ساعة المطبخ" و"الثلج الكثير الكثير" و"الملوك الثلاثة المظلمون" و"الفئران تنام قطعًا بالليل" وأخيرًا "الخبز"، وكلها تموج بخلفيات الحرب وما بعد الحرب، وهى انعكاسات لداخلية كل منهما باعتبارهما مقاتِلَيْن وأسيرَىْ حرب، وتأتى قصص رائد المسرح الملحمى الألمانى بيرتولت بريشت حيث قصة "دائرة طباشير أوجزبورج" التى عالجها بريشت فى وقت لاحق فى شكل عمل مسرحى ضخم نقل أحداثه من مدينة أوجزبورج الألمانية إلى منطقة القوقاز الروسية لتحمل عنوان "دائرة الطباشير القوقازية" لتلقى حتى وقتنا هذا اهتمامًا عالميا، هذا إلى جانب قصة قصيرة بعنوان "الكاتب الروائى" ذات الطابع الفلسفى، وقصة "ميزان عائلة باليك" التى تعالج موضوع الضمير وتأنيبه عندما يحدث شرخ فى جدار الذمة، وأخيرًا "معطف الزنديق" التى تتناول محاكم التفتيش والمعاملات الإنسانية، ثم تأتى قصة "الذئاب تعود" لكاتبها هانس بندر حيث يعكس انطباعاته النقدية للحرب العالمية الثانية والأسر السوفييتى الذى وقع فيه، ثم تأتى قصتا عملاق الدراما الواقعية الألمانية يوهان بيتر هيبل، الأولى بكى لها وهو يطالعها أمام رفاقه وهى بعنوان "لقاء لا أمل فيه" والثانية من النوع الهادف السلس بعنوان "المريض الذى شفى"، ونختتم هذه المجموعة القصصية الأدبية بقصص قصيرة لطيفة أخَّاذة هى: "مسرح النافذة" لكاتبتها

إيلزه آيشنجر و"الذئاب" لكاتبها إيبرهارد ميكيل و"سباق بين والد وولده" لكاتبها هاينريش ڤايس، ثم تأتى فى النهاية تعريفات مقتضبة ممتعة بالمؤلفين.

وفى النهاية أتمنى من الله العلى القدير أن أكون عند حسن ظن القارئ العربى ترجمة واختيارا والله الموفق.

أحمد كامل عبد الرحيم

جمال هذا العالم زائل

مارتن أوبيتس

جمال هذه الدنيا يزول

مثل الريح التى أبدا لا تطول

مثل الزهرة التى قلما بدأت تزهر

حتى تتجه إلى الأرض وتبصر

مثل الموجة التى قدِمَتْ لتوها

تَشُق طريقها وتروح سريعا لحالها

فأى حُكمٍ ينبغى لى أن أُصدِرَه

إن الدنيا ريحٌ وموجةٌ وزهرة

*****

ولاء تحت الاختبار

يوهان جوتفريد هيردر

كان يوجد عند الخليفة المتوكل طبيب أجنبى يُدعى حُنين، كان يُكنُّ له كل احترام بسبب علمه الغزير، إلا أن بعض رجال البلاط أثاروا عنده الشكوك تجاه هذا الرجل وقالوا، حيث إن هذا الشخص أجنبى الأصل فإنه لا يمكن الوثوق فى ولائه، وانتاب الخليفة القلق وأراد أن يَضَعه تحت الاختبار ليعرف سبب هذا الاتهام ومدى صحّته، فطلبه للحضور إليه وقال له: "يا حُنين! يوجد بين أمرائى عدوّ خطير لا أستطيع استخدام القوة ضده بسبب كثرة أتباعه ولذلك فإننى أصدرت أمرًا إليك يقضى بأن تقوم بإعداد سم لا يترك أثرًا على المَيت الذى دُسّ له هذا السُّم وسأقوم أنا بدعوته لضيافتى صباح الغد وسأنتقم منه بهذه الطريقة".

وبكل ثقة أجابَهُ حُنين قائلاً: "سيدى! إن تخصصى العلمى يقتصر فقط على الأدوية التى تُحافظ على حياة الإنسان ولا يسعنُى ولا يصحُ لى تحضير أشياء أخرى مُخالفة، كما أننى لم أبذل أى جهد على الإطلاق لتعلمها، لاعتقادى بأن حاكم المؤمنين الحقيقى لن يطلب منى تطوير مثل هذه المعارف، وإذا كان سُلوكى هذا لا يُرضيك فاسمح لى بمغادرة بلاطك كى أكتسب هذه المعارف التى تنقصنى فى

بلد آخر"، وأجابه المتوكل قائلاً: إن هذا عُذر أجوف، فمن يعرف المواد الشافية فإنه يعرف أيضًا المواد القاتلة، ثم أخذ يرجو ويُهدد تارة ويعد بالهدايا تارة أخرى ولكن دون جدوى، وبقى حنين ثابتا على موقفه، وفى النهاية ثار الخليفة ونادى على الحُرّاس وأمر بإدخال هذا الرجل العنيد السجن، حدث ذلك بالفعل وتم إرسال شخص فى شكل مَسجُون ليتجسس عليه ويستكشف حقيقته وينقل إلى الخليفة كل ما قد يَتفوّه به على لسانه. ورغم أن وقع مثل هذه المعاملة على حُنين كان شديدًا جدا، فإنه لم يتفوّه بكلمة واحدة أمام زملائه المسجونين عن سبب ثورة الخليفة عليه وكل ما قاله هو أن غُبنًا قد وقع عليه.

وبعد فترة طويلة من الوقت استدعاه الخليفة للحضور إليه، وأمامه على المنضدة كان يوجد كومة من ذهب وألماظ وأقمشة غالية وبجوارها كان يقف الجلاّد يحمل سوطًا فى يده وسيفًا تحت ذراعه. بدأ المتوكل فى الحديث قائلاً "لقد كان لديك وقت كافٍ كى تعيد النظر فى موقفك وتُدرك عدم أحقيتك فى عنادك والآن لك أن تختار، إما أن تأخذ هذه الثروات وتُنَفذ رغبتى أو تستعد لملاقاة الموت اللعين". فأجاب حُنين قائلاً: سيدى! ليس العار فى العقاب، لكن العار فى الجريمة، إننى يُمكننى الموت دون أن أدنِّسَ علمى ومهنتى، إنك سيد حياتى، افعل ما شئت بى".

وهنا توجّه الخليفة بحديثه إلى المُلتفِّين حولهما قائلاً: "انصرفوا إلى الخارج" وعندما أصبح بمفرده قدم يده إلى حُنين صاحب الضمير الحى مُصافحًا إياه قائلاً: يا حنين! إننى سعيد بك، أنت صديقٌ لى وأنا صديقٌ لك، لقد حدث أن أناسًا شككونى فى ولائك لى وكان لزامًا علىَّ أن أختبر إخلاصك كى أتأكد من مدى إمكانى الاعتماد عليك كُلية. سأرسل إليك هذه الهدايا كى تُساعد على عدم تصدع أركان الفضيلة عندك، أقدمها إليك ليس مُكافأة ولكن كدليل على الصداقة بيننا.

وهنا أصدر الخليفة أوامره بحمل الذهب والأحجار الكريمة والأقمشة إلى منزل حُنين.

الحُمُولَة الثقيلة

يوهان جوتفريد هيردر

الخليفة الحكم المعروف بحُبه لمظاهر الترف أصدر ذات مرّة أوامره بتجميل حدائق قصره وتوسيعها، واضطرّ إلى انتزاع ملكية قطعة من الأرض كانت تمتلكها سيدة عجوز، وغضبت السيدة الأرملة وذهبت باكية إلى القاضى لترفع شكواها إليه، وكان ابنُ بشير قاضى المدينة آنذاك فأذن لها أن تعرض شكواها عليه ووجد أن الأمر يدعو إلى الحيرة، فعلى الرغم من أن القوانين تُعطى الحق صراحة إلى الأرملة، فإنه ليس من السهل على أمير تعوّد الاعتقاد فى أنه على حق دائمًا أن يقبل طواعية تطبيق قانون لا يرتضى به.

ولكن ماذا فعل القاضى العادل؟

لقد أسرج حمارته ووضع عليها جوالاً كبيرًا وركبها دون تردد متوجهًا إلى حدائق القصر حيث تصادف وجود الخليفة فى المبنى الجميل الذى أقيم فوق قطعة الأرض التى ورثتها الأرملة العجوز عن زوجها المتوفى.

ولقد أثار وصول القاضى بحماره وجواله دهشة الخليفة، وزاد من دهشته عندما رأى ابن بشير يركع أمام قدميه ويقول: "أستسمحك

يا سيدى أن أملأ هذا الجوال من تراب هذه الأرض!" واستجاب الحكم لطلبه ولكن عندما امتلأ الجوال بالتراب طلب ابن بشير من الخليفة أن يساعده فى رفع الجوال على ظهر الحمار، ووجد الخليفة أن هذا الطلب أكثر غرابة من سابقه، ولكن لكى يتوصّل إلى ما يهدف إليه هذا القاضى، أمسك الخليفة بأطراف الجوال، إلا أنه لم يستطع تحريكه من مكانه فصاح قائلا: "إن الحمولة ثقيلة جدًا أيها القاضى" فأجابه ابن بشير قائلا: "سيدى، لقد تحققت من أن هذه الحمولة ثقيلة جدًا رغم أنها ليست سوى جزء ضئيل من الأرض التى اغتصبتها دون وجه حق من الأرملة العجوز، كيف فى يوم الحساب الأكبر؟ وتأثر الخليفة لذلك وأثنى على القاضى لذكائه، ورق قلبه وأعاد إلى الأرملة قطعة الأرض بما أُقيم عليها من مبان.

قاهر العالم

يوهان جوتفريد هيردر

فى مناطق الهند النائية ذهب الإسكندر الأكبر ذات مَرَّة إلى أحد أنهار الجنة حيث انتعش وارتوى من مائه السلسبيل، غسل به ملامح وجهه وبدت عليه مظاهر الشباب، أخذ يسير بمحاذاة النهر خلال الصحارى الشاسعة إلى أن وصل إلى باب الجنة، وهنا صاح قائلاً: "افتحوا لى الباب فأنا قاهر العالم وملك الأرض!" ولكنه سمع صوتا يقول له: "إنك مُلطخٌ بالدماء، اذهب لحالك! إن هذا الباب باب مُقدّس ولا يدخلُ منه إلا دُعاة العدل والسلام" فصاح الإسكندر قائلاً: "إذن فلتُعطُونى على الأقل ما يُثبت أننى كنتُ هنا!" ومَدَّ الإسكندر يده فوجد جمجمة توضع فى يده فأخذها غير راض، إلا أن الجمجمة أخذ وزنها يزداد أكثر فى يديه لدرجة أنه لم يَعُد يقوى على حملها. أصبحت ثقيلة جدًا وأصبح وزنها يزيد عن وزن كل الذهب الذى جمعه خلال حروبه وغزواته وهى كنوز وثروات بلاد فارس والهند. وفى حيرة من أمره استدعى أحد الحُكماء واستفسر منه عن سبب ما حدث فأجابه الحكيم قائلا: "إن رأس الإنسان تعنى أنت وطالما أن عينيك ستبقيان مفتوحتين فإنك لن تستطيع أن تشبع نفسك بكل هذا الذهب والفضة، ولكن أُنظر هنا!، إذا أُلقيت غُبارًا وَغَطيتها بحفنة من

التراب فإنك ستجد أن وزنها قد خفَّ وأصبح كأى جمجمة أخرى وفعل الحكيم ذلك وصدق فيما قاله.

وسُرعان ما تحققت الحكمة عندما انسحب الإسكندر بجيوشه ومات فى بابل وزالت مملكته واندثرت رأس قاهر العالم فى التراب كأى جمجمة أخرى يموت صاحبها.

حُكمٌ قضائىٌ إفريقى

يوهان جوتفريد هيردر

ذات مرة ذهب الإسكندر المقدونى إلى منطقة إفريقية نائية غنية بالذهب، وهناك استقبله المواطنون وأحضروا له سلالاً مليئة بالتفاح الذهبى والفواكه، وتحدث الإسكندر إليهم متسائلاً: هل تأكلون هذه الثمار عندكم؟ إننى لم أحضر إليكم لرؤية ثرواتكم ولكن كى أتعلم عاداتكم وتقاليدكم وبناء على ذلك اصطحبوه إلى السوق حيث يعقد الملك هناك جلسات محكمته.

وتصادف آنذاك أن اقترب مواطن وقال: "يا جلالة الملك! لقد اشتريت من هذا الرجل جوالا مليئًا بالقش ولكننى وجدت فيه ذهبًا كبيرًا، إن القش هو حقى وليس الذهب وهذا الرجل لا يُريد أن يسترده، تحدَّث إليه يا جلالة الملك لأن الكنز من حقه! وأجابه خصمه – وهو مواطن أيضا من المنطقة نفسها – قائلاً: إنك تخشى الاحتفاظ بشىء ليس من حقك، ولا ينبغى علىّ أن أخشى أخذ مثل هذا الشىء منك، لقد بعتُ لك الجوال بكل ما فيه، احتفظ بكل شىء، أقنعه بذلك يا جلالة الملك!"

وسأل الملك المواطن الأول عما إذا كان لديه ابن فأجاب بنعم، وسأل المواطن الثانى عما إذا كان لديه ابن وسمع منه أيضًا الإجابة

بكلمة "نعم" فرد الملك عليهما قائلا: "حسنًا، إنكما معا تستحقان الخير، زوِّجا أولادكما فيما بينكما وأعطيا لهما الكنز هدية حفل زفافهما، وهذا قرارى!." واندهش الإسكندر عندما سمع الملك يفصح بذلك، فسأله ملك البلاد النائية قائلاً: ألم أحكم بالعدل حتى تندهش؟ فرد عليه الإسكندر قائلاً: لا، ولكن فى بلادنا يتم الحُكمُ بطريقة أخرى، فسأل الملك الإفريقى: "وكيف إذن؟" فأجاب الإسكندر قائلا: "كلا المُتنازعين يُطاح برأسيهما وبالتالى يؤول الكنز إلى أيدى الملك"، فضرب الملك يديه فى بعضهما وقال: "وهل الشمس تبزغ أيضا عندكم وهل السماء لاتزال تُمطر عليكم؟ "فأجاب الإسكندر: "نعم" فاستطرد الملك قائلا: "هذا ما يجب أن يحدث رحمة بتلك الحيوانات البريئة التى تعيش فى بلدكم حيث كان من المفروض ألا تسطع الشمس ولا تمطر السماء فوق مثل هؤلاء الناس.

المصباح الأزرق

الأخوان جريم

ذات مرة كان يُوجد جندى ظل يخدُم الملك بإخلاص لسنوات عديدة، ولكن عندما انتهت الحرب ولم يعد الجندى – بسبب الجراح الكثيرة التى لحقت به – قادرًا على مُواصلة الخدمة، قال له الملك: "يمكنك أن تذهب إلى موطنك فأنا لم أعد بحاجة إليك، كما أنك لن تستمر فى الحصول على نقود لأن الأجر يحصل عليه فقط من يؤدى خدمات لى فى مقابله". ولما كان الجندى لا يعرف كيف ينبغى عليه شق طريق حياته، رحل وكله هموم وظل يسير طوال اليوم حتى وصل فى المساء إلى داخل غابة، وعندما حل الظلام رأى نورًا فاقترب منه حتى وصل إلى منزل كانت تسكنه ساحرة فتحدث إليها قائلا: "أعطنى مكانا أبيت الليل فيه وقليلا من الطعام والشراب" فردت عليه قائلة: سأعانى الأمرين ليس إلا، ناهيك عن هذا!، من ذا الذى يعطى شيئًا لجندى ضل سبيله؟ غير أننى أريد أن أكون رحيمة القلب وأستضيفك إذا فعلت ما أطلبه، فسألها: "وماذا تطلبين؟"

فقالت: "أن تروى حديقتى غدًا".

فوافق الجندى وظل يعمل فى اليوم التالى بكل ما أوتى من قوة، غير أن قدرته نفدت قبل أن يحل المساء، فقالت الساحرة: "إننى

أرى حقا أنك لا تستطيع اليوم مواصلة العمل، ولكننى أريد السماح لك بمبيت ليلة وينبغى عليك فى مقابل ذلك أن تشق لى غدًا أخشابًا تزن حمولة عربة وتقطعها قطعا صغيرة"، واحتاج الجندى لذلك يومًا كاملاً، وفى المساء عرضت عليه الساحرة اقتراحًا بأن يبقى ليلة أخرى وقالت: "ينبغى عليك أن تنجز لى غدًا عملا ضئيلاً. يوجد خلف منزلى بئر قديم خالٍ من المياه وفيه سقط منى مصباحى الذى يضىء باللون الأزرق ولا ينطفئ، وهو ما ينبغى عليك أن تعيده لى، وفى اليوم التالى اصطحبته إلى البئر وجعلته يهبط بواسطة سلّة إلى أسفل، فوجد المصباح الأزرق وأعطى إشارة على أنه يرغب فى إعادة جذبه إلى أعلى، ولكنه عندما اقترب من الحافة مدت يدها إليه وأرادت أن تنتزع منه المصباح الأزرق، وعندما لاحظ أفكارها الدنيئة قال: "لا، لن أعطيك المصباح إلا عندما تطأ قدماى الأرض"، وهنا غضبت الساحرة وتركته يهوى ثانية إلى أسفل البئر وانصرفت. سقط الجندى المسكين على الأرضية الرخوة دون أن يلحق به ضرر، وظل المصباح الأزرق مشتعلاً ولكن ما فائدته بالنسبة له؟، وتأكد له أنه لن يفلت من الموت فجلس لوهلة فى حزن شديد، ثم أدخل يده دون قصد فى جيبه حيث وجد غليون التبغ الذى كان لا يزال ملآنًا إلى نصفه ففكر قائلاً: "وليكن ذلك آخر متعة لك" وأخرجه وأشعله باستخدام المصباح الأزرق وبدأ يدخن، وعندما أخذ البخار يتلوى داخل الفجوة ظهر فجأة قزم صغير أسود اللون يقف أمامه ويسأله

قائلاً: "سيدى هل تأمرنى بشىء؟" فرد الجندى فى دهشة بالغة: "وما الشىء الذى آمرك به؟ فقال القزم: "إنه لزاما علىّ أن أفعل كل ما تطلبه"، فقال الجندى: "حسنًا، إذن فلتساعدنى أولاً فى الخروج من البئر" وهنا أخذ القزم الصغير بيده وقاده خلال ممر تحت الأرض، غير أنه لم ينس أخذ المصباح الأزرق معه. وفى الطريق أشار له على الكنوز التى جمعتها الساحرة وقامت بإخفائها هناك، فأخذ الجندى منها نقودًا كثيرة للغاية على قدر ما استطاع أن يحمل.

بمجرد أن صعد إلى أعلى، تحدث إلى القزم قائلا: "اذهب على الفور إلى الساحرة العجوز وكبلها واتجه بها إلى المحكمة"، لم يمر وقت طويل حتى أتت راكبة على ظهر قط برى تمر أمامه فى سرعة كالريح وتصرخ صرخة مرعبة، هذا ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلاً حتى عاد القزم الصغير: سيدى هل تأمرنى بشىء آخر؟" فرد الجندى قائلا: لا شىء الآن، ويمكنك أن تذهب إلى دارك، كن مستعدًا على الفور عندما أناديك!"، قال القزم: "إن الأمر لا يتطلب شيئا سوى أن تُشعل غليونك باستخدام المصباح الأزرق وستجدنى أقف أمامك فورًا"، ثم اختفى عن ناظريه.

عاد الجندى إلى المدينة التى كان قد جاء منها، حيث ذهب إلى أحسن بيت للضيافة ودبَّر لنفسه أجمل الملابس، ثم أمر صاحب البيت أن يؤثث له حجرة على نحو رائع قدر المستطاع، وعندما انتهى من تأثيث الحجرة وانتقل الجندى للسكن فيها، نادى على القزم الأسود

وتحدث إليه قائلا: لقد خدمت الملك بإخلاص ولكنه طردنى وجعلنى أموت جوعًا، ولذلك فإننى أريد الانتقام الآن "فسأل القزم: "وما ينبغى لى أن أفعل؟" فقال الجندى: "فى وقت متأخر مساء، وعندما تكون ابنة الملك راقدة فى فراشها، عليك أن تحضرها نائمة إلى هنا، حيث ينبغى عليها أن تؤدى أعمال الخدم عندى" فقال القزم: "إن ذلك أمر هين بالنسبة لى ولكنه شىء خطير بالنسبة لك فعندما ينكشف الأمر ستكون عواقبه وخيمة عليك".

وعندما دقت الساعة الثانية عشر، انفتحت الأبواب بشدة وكان القزم يحمل ابنة الملك ويدخل بها، فصاح الجندى قائلا: "حسنًا هل جئت؟، فورًا إلى العمل، اذهبى وأحضرى المكنسة واكنسى الحجرة!".

وعندما انتهت من عملها طلب منها الحضور إلى جوار مقعده ومد قدميه فى مواجهتها وقال: "اخلعى لى الحذاء"، ثم قذفه فى وجهها حيث اضطرت هى إلى رفعه من على الأرض وقامت بتنظيفه وتلميعه، غير أنها كانت تفعل كل ما كان يأمرها به دون غضاضة وفى صمت مع إغماض عينيها، ومع أولى صيحات الديوك حملها القزم وأعادها ثانية إلى القصر الملكى ووضعها فى فراشها، وفى صباح اليوم التالى عندما استيقظت ابنة الملك ذهبت إلى والدها وحكت له أنها عاشت حلمًا عجيبًا: "حملنى شخص ما وأسرع بى فى سرعة البرق خلال الشوارع وأدخلنى فى حجرة أحد الجنود حيث

اضطررت إلى خدمته كخادمة وتقديم الطعام له والقيام بكل الأعمال الحقيرة وكنس الحجرة ومسح الحذاء لقد كان ذلك مجرد حلم، إلا أننى متعبة جدًا وكأننى فعلت كل ذلك حقيقة" فقال الملك: "ربما كان الحلم حقيقة، أريد أن أقدم لك نصيحة: املئى جيوبك بحبوب البازلاء وافتحى ثقبًا صغيرًا فى الجيب وعندما تؤخذين ثانية ستتساقط الحبوب وتترك أثرًا فى الشارع"، وبينما كان الملك يتحدث كان القزم يقف دون أن يراه أحد ويشارك فى سماع كل شىء.

وفى الليل عندما كان القزم يعاود حمل ابنة الملك الناعسة ويسير بها خلال الشوارع، لم يسقط من الجيب سوى القليل من الحبوب، ولكن لم تستطع إحداث أى أثر، لأن القزم الماكر كان قبل ذلك قد بعثر حبوب بازلاء فى الشوارع، ولذلك فلقد اضطرت ابنة الملك أن تقوم ثانية بأعمال الخدم حتى صيحات الديوك.

وفى صباح اليوم التالى أرسل الملك رجاله حيث كان ينبغى عليهم البحث عن الأثر غير أن ذلك كان دون جدوى، لأن الأطفال الفقراء كانوا قد جلسوا فى كل الشوارع والتقطوا حبوب البازلاء وقالوا: "لقد أمطرت السماء اليوم حبوب بازلاء" وهنا قال الملك: لابد أن نفكر فى شىء آخر، كونى مرتدية حذاءك عندما ترقدين فى الفراش وقبل أن تغادرى المكان أخفى فردة منه هناك وإننى سأجدها قطعًا.

علم القزم الأسود باللعبة وعندما طلب الجندى فى المساء بأن يقوم القزم بإحضار ابنة الملك ثانية إليه، نصحه القزم بالعدول عن ذلك وقال بأنه ليس لديه وسيلة تجاه هذه الحيلة، وأنه إذا تم العثور على الحذاء عنده فسيكون الأمر سيئًا بالنسبة له، فرد الجندى قائلا: "افعل ما أقول لك" واضطرت ابنة الملك أن تعمل أيضا كخادمة فى الليلة الثالثة، ولكنها قبل حملها لإعادتها قامت بإخفاء فردة حذاء تحت الفراش.

وفى صباح اليوم التالى أمر الملك بالبحث عن فردة حذاء ابنته فى المدينة كلها: لقد تم العثور عليها عند الجندى وتم إحضاره وإيداعه السجن، بعد أن كان قد هرع إلى باب المدينة حسب إلحاح القزم عليه ولكنه كان قد نسى عند الهروب أفضل أشياء لديه، المصباح الأزرق والذهب. ولم يكن معه فى جيبه سوى درهم، وبينما هو مثقل بالسلاسل ويقف عند نافذة السجن رأى أحد زملائه مارا أمامه فطرق على اللوح، وعندما اقترب الزميل منه قال له: "كن طيبا وأحضر لى الصرّة الصغيرة التى كنت قد تركتها فى بيت الضيافة وسأعطيك درهما نظير ذلك"، فذهب الزميل إلى هناك وأحضر المطلوب، وبمجرد أن اختلى الجندى بنفسه وضع الغليون فى فمه وأمر بحضور القزم الصغير الذى حضر وتحدث إلى سيده قائلا: "لا تخف، اذهب إلى حيث يقتادونك ودع كل شىء يحدث ولكن خذ معك المصباح الأزرق ليس إلا". وفى اليوم التالى انعقدت المحكمة للحكم

على الجندى ولكن على الرغم من أنه لم يرتكب شيئا سيئًا حكم عليه القاضى بالإعدام.

وفى اليوم الذى كانوا يقتادونه فيه بعيدًا، طلب من الملك أن يُنعم عليه بعفو أخير فسأل الملك: "وأى عفو؟" "هو أن يُسمح لى بتدخين الغليون مرة واحدة وأنا فى الطريق" فأجابه الملك: "يمكنك التدخين ثلاث مرات ولكن لا تعتقد أننى سأهبك الحياة"، وهنا أخرج الجندى غليونه وأشعله باستخدام المصباح الأزرق، وما هى إلا بضع حلقات من الدخان تصاعدت عاليًا حتى ظهر القزم واقفًا أمامه يحمل عصا صغيرة فى يده ويقول: "بماذا تأمر يا سيدى؟" "اضرب لى هؤلاء القضاة المزورين واطرحهم أرضًا، كما لاتدع الملك الذى أساء معاملتى للغاية يفلت"

وعلى الفور أخذ القزم فى سرعة البرق يطيح هنا وهناك، طيخ طاخ، وكل من كان يلمسه بعصاه فقط كان يسقط على الأرض ولم يعد يقوى على التحرك أما الملك فلقد انتابه الفزع وظل يتوسل، ولكنه لمجرد المحافظة على حياته فقط، تنازل للجندى عن مملكته وزوجه ابنته.

القط ذو الحذاء الطويل

الأخوان جريم

كان يوجد طحان لديه ثلاثة أبناء ومطحن وحمار وقط، كان على الأبناء القيام بالطحن، وعلى الحمار إحضار الحبوب وحمل الدقيق إلى أصحابه، وعلى القط اصطياد الفئران، وعندما مات الطحان اقتسم الأبناء الثلاثة التركة حيث أخذ الأكبر سنا المطحن، والثانى الحمار، والثالث القط حيث لم يتبق شيء آخر له ولذلك فلقد كان حزينًا وتحدث إلى نفسه فقال: "لقد خصنى حقًا أسوأ شيء فماذا ينبغى على أن أبدأ فى عمله بمساعدة القط؟ إذا أوصيت بصنع قفازات فراء من فروته فيزول بذلك نصيبى من التركة" وبدأ القط الذى كان قد فهم كل شيء يقول: "اسمع، إنك لست فى حاجة إلى قتلى! أوصى بعمل حذاء بوت لى ليس إلا حتى أستطيع الخروج وأتمكن من إظهار نفسى بين الناس وحينئذ ستتحقق مساعدة لك على وجه السرعة" واندهش ابن الطحان عندما تحدّث القط هكذا، ولما كان صانع الأحذية يمر آنذاك نادى عليه بالدخول وأوصى بأخذ مقاس زوج من الحذاء الطويل الرقبة للقط، وعندما تم صناعة زوج الحذاء لبسه القط وأخذ جوالاً ووضع بداخله بعض الحبوب وربطه بحبل ثم ألقاه على ظهره ومشى مثل الإنسان على ساقين إلى الباب وخرج، وكان آنذاك يحكم ملك يهوى أكل الفراريج غير أنه كان يتعذر

الحصول عليها وكانت الغابة بأكملها مليئة بها، ولكنها كانت قد أصبحت خجولة للغاية حيث إن أىّ صياد لم يستطع الوصول إليها، وعلم القط بذلك وفكر فى تحسين وضعه وعندما وصل إلى داخل الغابة فتح الجوال وقام بنثر الحبوب، أما الحبل فلقد ألقى به فى الحشيش وأخذ بطرفه خلف ساتر من الشجيرات حيث أخفى نفسه ثم التفَّ خلسة وأخذ يترقب، وسرعان ما أتت الفراريج مُسرعةً ووجدت الحبوب وأخذت الواحدة تلو الأخرى تقفز إلى داخل الجوال وعندما أصبح بداخله عدد كاف جذب القط الحبل ليقفله به، ثم اقترب منه وقام بتقطيع رقابهم وبعد ذلك أطاح بالجوال على ظهره واتجه على الفور صوب قصر الملك وصاح الحراس فى وجهة قائلين: قف!، إلى أين؟ فأجاب القط فى اختصار: "إلى الملك" فقيل له: أأنت مجنون، قط يُريد الذهاب إلى الملك؟ وهنا قال شخص آخر: اتركه ليدخل، إن الملك يعانى فعلاً من الملل ولعل القط بهمته وألاعيبه يُدخل البهجة عليه.

وهكذا جاء القط أمام الملك حيث ألقى خطابه وقال: سيدى.. إن الأمير، وذكر بهذه المناسبة اسما طويلا عريقًا، ليسعده أن يسدى معروفًا إلى الملك ويُرسل فراريجًا برية قام بصيدها لتوه وهى فى الجوال المربوط، وانبهر الملك للفراريج الجميلة السمينة ولم يعرف من شدّة الفرحة كيف يتحكم فى نفسه وأمر بأن يوضع للقط من

الخزانة نقود كثيرة جدًا فى الجوال بالكمية التى يقوى على حملها وقال: "أعط هذه النقود إلى سيدك بمثابة شكرى على هديته"

وفى أثناء ذلك كان ابن الطحان المسكين بالمنزل يقف عند النافذة ويرتكز برأسه على راحة يده ويتذكر أنه أضاع آخر ماله بشرائه الحذاء للقط، وما الشىء العظيم الذى قد يمكن أن يجنيه هو من وراء هذا القط؟ وهنا دخل القط وأخذ يهز الجوال لتسقط منه النقود أمام ابن الطحان وهو يقول: "ها أنت تجنى بعض الشىء مقابل البوت. الملك يبلغك تحياته ويعبر لك عن شكره". لقد كان ابن الطحان سعيدا بالثروة دون أن يتمكن من إدراك كيفية الحصول عليها، أما القط وبينما كان يخلع حذاءه أخذ يحكى له كل شىء ثم أضاف قائلا: "إنك تمتلك الآن نقودًا كافية، غير أن الأمر ينبغى ألا يظل على ذلك. غدا سأعاود ارتداء حذائى حيث ينبغى عليك أن تصبح أغنى من ذلك، فلقد قلت أنا للملك أنك أمير"، وفى اليوم التالى وكما كان قد ذكر، عاود القط الخروج للصيد متأنقا فى حذائه وأحضر للملك صيدًا وفيرًا، وهكذا مرت أيام كثيرة، كان القط يحضر كل يوم ذهبًا للمنزل وأصبح محبوبًا للغاية لدى الملك كشخص يحق له الدخول أو الخروج والتسكع فى كل أرجاء القصر كيفما يحلو له.

وذات مرة كان القط يقف فى مطبخ الملك عند الموقد يتلمس الدفء، وهنا جاء سائق العربة الحنطور وأخذ يشتم قائلا: "كنت

أرغب، لعنة الله على الملك والأميرة، كنت أريد الذهاب إلى الحانة أتمتع بالشرب ولعب الكوتشينة غير أنه ينبغى علىّ الآن أن أسافر بهما فى نزهة عند البحيرة"، وعندما سمع القط ذلك تسلل مُتجهًا إلى المنزل وقال لسيده: إذا أردت أن تُصبح أميرًا وثريًا فلتخرج معى إلى البحيرة ولتستحم فيها. لم يكن يعرف ابن الطحان ماذا ينبغى عليه أن يرد على ذلك، غير أنه تبع القط إلى البحيرة وخلع كل ملابسه كما ولدته أمه ثم قفز فى الماء، بينما أخذ القط الملابس وحملها بعيدًا وقام بإخفائها، وبمجرد أن انتهى من ذلك كان الملك قد حضر فى عربته ويقترب منه، وعلى الفور بدأ القط يصرخ فى حالة تدعو للشفقة: "معذرة أيها الملك الأعظم! لقد استحم سيدى هنا فى البحيرة وحدث أن لصا جاء وسرق منه ملابسه التى كانت على الشاطئ، والآن لا يستطيع السيد الأمير الخروج من الماء، وإذا ظل مدة أطول فى الماء فإنه سيصاب بنزلة برد ويموت"، وعندما سمع الملك ذلك أمر بإيقاف العربة واضطر واحد من حاشيته أن يعود إلى القصر ويُحضر ملابسَ من ملابس الملك. وبعد ذلك ارتدى الأمير أفخر الثياب واضطر للجلوس بجانب الملك فى العربة، ولم تكن الأميرة قد غضبت لذلك، لأن الأمير كان شابًا وجميلاً وحاز إعجابها تمامًا. أما القط فكان قد ذهب بعيدًا حتى وصل إلى مرعى كبير به ما يزيد على مائة رجل يحصدون الحشيش، وهنا سأل القط: "من صاحب المرعى أيها الناس؟"، صاحبه هو الساحر الكبير. "اسمعوا، عندما يمر الملك الآن ويسأل عن صاحب المرعى. فأجيبوا بأنه يتبع الأمير، وإذا لم

تفعلوا ذلك، فستضربون أنتم جميعًا حتى الموت!"، وبعد ذلك واصل القط سيره حتى وصل إلى حقل للغلال. كان حقلا كبيرًا حتى إن المرء لا يستطيع رؤيته حتى آخره وكان به ما يزيد على مائتين من الناس يحصدون الغلال. وسأل القط: "من صاحب الغلال أيها الناس "إنه الساحر" اسمعوا، عندما يمر الملك الآن ويسأل عن صاحب الغلال فأجيبوا إنها ملكٌ للأمير. وإذا لم تفعلوا ذلك فستضربون أنتم جميعًا حتى الموت!"، وأخيرًا وصل القط إلى غابة رائعة وكان بها ما يزيد على ثلاثمائة من الناس يقطعون أشجار البلوط ويستخرجون منها خشب الوقود، وسأل القط: "من صاحب الغابة أيها الناس؟ صاحبها هو الساحر، اسمعوا، عندما يمر الملك الآن ويسأل عن صاحب هذه الغابة فأجيبوا: إنه الأمير وإذا لم تفعلوا ذلك فإنكم ستموتون جميعًا!"، ثم واصل القط سيره حتى وصل سريعًا إلى قصر الساحر فذهب إلى الداخل واقترب منه، وهنا نظر الساحر إلى القط باحتقار وسأله عما يريد وهنا انحنى القط إجلالا وقال: "لقد سمعت أنك تستطيع أن تتحول إلى أى حيوان كيفما يحلو لك، إنه يسهل علىّ الاعتقاد بأن تتحول إلى كلب وثعلب وحتى إلى ذئب غير أنك لا تستطيع أن تتحول إلى فيل"، فرد الساحر بفخر: إن هذا أمر بسيط وفى لحظة كان قد تحول إلى فيل، فقال القط: لك كل الاحترام! ولكن هل أيضا إلى أسد؟ فقال الساحر "وهذا أمر تافه أيضًا"، وكان فعلاً قد تحول إلى أسد يقف، أما القط الذى تظاهر وكأنه انفزع تمامًا ثم صاح "هذا شيء لا يصدقة عقل، لم أكن أتمنى أن أفكر فى ذلك فى

أحلامى! وربما يكون سحرك أكثر عظمة لو تستطيع التحول إلى حيوان صغير مثل فأر على سبيل المثال، إنك لا تستطيع حقًا أكثر مما يستطيعه أى ساحر آخر فى العالم، إلا أن ذلك صعب تحقيقه!" وأحس الساحر بأن القط يتملقه بكلماته وقال: حسنًا أيها القط الصغير العزيز، إن ذلك فى استطاعتى أيضًا وسرعان ما أخذ يقفز فى صورة فأر فى كل أرجاء الحجرة. وهنا تعقبه القط واصطاده فى قفزة واحدة ثم التهمه.

أما الملك فكان قد واصل رحلته وبصحبته الأمير والأميرة. مارًّا بالمرعى وبمحاذاة حقل الغلال وإلى الغابة الكبيرة وتم كل ما كان قد أمر القط به، واندهش الملك كثيرًا وقال: "لابد أنك رجل ثرى للغاية يا سيادة الأمير!" وفى النهاية أتوا إلى القصر حيث كان القط يقف عاليا عند السلم وعندما توقفت العربة قفز إلى أسفل وفتح الباب وقال: "سيادة الملك. إنك تأتى هنا فى قصر سيدى الأمير، الذى يسعد اليوم بشرف زيارتك له". نزل الملك من العربة وانبهر بالمبنى الفاخر الذى كان تقريبًا أكبر وأجمل من قصره الخصوصى، أما الأمير فلقد صعد السلم عاليًا بصحبة الأميرة إلى القاعة التى كانت تموج تماما ببريق الذهب والأحجار الكريمة وكانت الأميرة قد تصادقت مع الأمير، وعندما مات الملك أصبح هو الملك، أما القط ذو الحذاء الطويل الرقبة فلقد أصبح وزيره الأول.

البطاقة البريدية

هاينريش بُول

لا يوجد أحد ممن يعرفوننى يُدرك مدى العناية التى أحافظ بها على قطعة من الورق لا قيمة لها على الإطلاق سوى أنها تحتفظ بذكريات يومٍ معين فى حياتى، وتبعث فى داخلى نداء الإحساس المرهف الذى لا يتمشى مع درجة تعليمى: المختص بالشئون القانونية فى إحدى شركات الغزل والنسج. حقًا إننى أحمى نفسى من تهمة الإحساس المرهف فى حين أحاول دائمًا وبشكل متكرر إعطاء هذه القطعة من الورق قيمتها كوثيقة. إنها ورقة عادية ضئيلة مُستطيلة الشكل، لم يصل مقاسها حتى إلى مقاس طابع بريد، بل إنها أصغر وأكثر استطالةً من مثل هذه الطوابع البريدية. وعلى الرغم من أن جهة إرسالها هى هيئة البريد، إلا أنها ليست لها أية قيمة مميزة تُذكر، إنها ورقة لها إطار سميك أحمر اللون يخترقه شريط آخر أحمر اللونِ أيضًا يقسمها إلى مستطيلين مُختلفى المساحات وبداخل أصغر هذين المستطيلين يوجد الحرف "ر" مكتوبًا بخط أسود سميك، وفى المستطيل الأكبر "دوسلدورف" بالخط الأسود السميك أيضًا، وإلى جوارها عدد، العدد ٤٣٦، هذا هو كل شىء. إنها ورَيقةٌ قد اصفر لونها قِدَمًا وأصبحت شبه بالية. والآن وبعد أن وَصَفْتُها

بدقة فإننى أُقَرر رَمْيَها، فما هى إلا: "تيكيت" عادى لخطاب مُسَّجل كأى "تيكيت" يلصقُهُ يوميًا بالرولاَّت أى مكتب بريد.

غير أن هذه الوُريقة تُذكرنى بيوم من أيام حياتى لا يُمكن أن يُنسى حقًا، على الرغم من أننى حاولت مِرارًا أن أشْطبَهُ من ذكريات حياتى إلا أن ذاكرتى تعمل بشكل جيد للغاية.

عندما أتذكر هذا اليوم فإننى أَشُم على الفور رائحة مُهلبية بالفانيليا وأتخيّل الدخان الدافئ الحلو الذى كان يتسلّلُ من أسفل باب حجرة نومى ويَجْعلنى أتذكر قلب والدتى الحنون. لقد طلبتُ منها آنذاك أن تصنع لى فى أول يومٍ من أجازتى جيلاتى بالفانيليا، وعندما صَحَوْت من نومى شَمَمْتُ رائحته. كانت الساعة العاشرة والنصف. وضعت سيجارة فى فمى وأزحتُ الوسادةَ إلى أعلى وخَطَّطْتُ لنفسى كيف أقضى فترة بعد الظُهر. كنت أريد الذهاب للعَوْم؛ فلقد كنت أُريد بعدَ الأكِل السفرَ إلى الشاطئ والعوم بعض الوقت والاطلاع والتدخين وانتظار زميلة لى فى العمل كانت قد وعدت بأن تأتى إلى الشاطئ بعد الساعة الخامسة.

كانت والدتى فى المطبخ تطرُقُ اللحم وعندما كانت تتوقف للحظة كنتُ أسمعها تَتَغنَّى مُحْدِثَةً بعض النغمات، لقد كانت أغنية كنائسية، وكم كُنت أنا سعيدًا، فلقد اِجتزتُ فى اليوم السابق امتحان وظيفة صبى عامل وحصلت على مكانِ عملٍ جيد فى مصنع للغزل

والنسج، مكان عمل له إمكانياتٌ للترقى – لقد كنتُ فى أجازة. أجازة لمدة أربعة عشر يومًا، وكنا فى فصل الصيف، كان الطقس حارًا خارج المنزل، وكنتُ أنا لا أزال أستمتع بالحرارة، ومن خلال مَنَافذ ضُلف الشبابيك كنت أرى خارجًا ما كانوا يُسَمُّونه لنا بالصهد المتأجج. كنت أرى خضرة الأشجار أمام منزلنا وأسمعُ صوت الترام. كنت أتلهَّفُ فَرِحًا بمجىء طعام الإفطار، وهنا جاءت الوالدة تتنصَّت عند بابى، تمشى خلال الطُرقة، ثم تظلُّ واقفةً أمام بابى، وكان السكونُ يسود شقَّتَنَا فى هذه اللحظة، وعندما كنتُ على وَشَكِ أن أنادى.. يا والدتى!..، دق الجرس وذهبت والدتى ناحية الباب وسمعت من أسفل كيف تأتى هذه النغمة المُتذبذبة النقية الغريبة الصادرة عن جرس الباب، كانت هذه النغمة المُتذبذبة تَحدُث أربع، خمس، ست مرات وكانت والدتى تتحدث خارجًا مع السيدة كورتس، التى كانت تسكن إلى جِوارنا، ثم جاء صوتُ رجل، وعرفت على الفور أنه ساعى البريد، على الرغم من أننى كنتُ أسمعه نادرًا جدًا. حضر ساعى البريد إلى مدخل منزلنا وقالت والدتى: "ماذا؟"، وقال ساعى البريد: "هنا. أرجوك التوقيع هنا!" ثم ساد سكونٌ تام للحظة وقال ساعى البريد: "شكرًا جزيلاً"، وزَجَّتْ والدتى الباب خلفه وسمعت أنها تَوجهَّت عائدة إلى المطبخ. وبعد ذلك بفترة وجيزة نَهَضْتُ من فراشى وذهبت إلى الحمام حيث احتلقتُ واغتسلْتُ على مهل وبعناية، وعندما كنت أقفل صنبور المياه سمعت والدتى وقد

بدأت فى طحن البُن وكان الإحساس وكأنه يوم أحد، كل ما هناك أننى لم أذهب فى هذا اليوم إلى الكنيسة.

لن يُصَدقنى أحد، ولكن الحقيقة هى أن قلبى قد ثَقُل فجأة، ولم أجد لذلك سببًا ولكنه كان ثقيلاً. لم أعُد أسمعُ مطحنة البن. جفَّفتُ نفسى وذهبتُ إلى حجرة المعيشة، حيث كانت الزهور تتعالى فوق المنضدةِ، زهور قُرنفل وردية اللون جميلة، كما كانت مائدة الطعام جاهزةً تمامًا وكل شىء نظيف ويوجد فى طبقى سجائر حمراء.

حضرت الوالدة من المطبخ وفى يدها براد القهوة ورأيت على الفور أنها كانت تبكى، كانت تحمل فى إحدى يديها براد القهوة وفى اليد الأخرى لفة صغيرة من الخطابات، وكانت عيناها محمرتين. أسرعت إليها وأخذت البراد من يدها وقبلتها على وجنتيها وقلت: "طاب صباحك" فنظرت هى إلىّ وقالت: "طاب صباحك، هل نمت جيدًا؟" وحاولتْ الابتسام آنذاك ولكنها لم تستطع تحقيق ذلك. جلسنا وصببت والدتى القهوة، أما أنا فقد فتحت العلبة الحمراء التى كانت موضوعة فى طبقى ووضعت سيجارة فى فمى، وفجأة فقدت شهيتى. قمت بتقليب اللبن والسكر فى القهوة. حاولت النظر إلى والدتى، ولكننى دائمًا وفى كل مرة كنت أرفع نظراتى عنها بسرعة. سألت: "هل وصل البريد؟، وعلى الرغم من عدم جدوى السؤال، حيث كانت يد والدتى الصغيرة الحمراء موضوعة على اللفة الصغيرة التى تعلوها جريدة، قالت "نعم" وزجت باللفة ناحيتى، ففتحت الجريدة بينما

بدأت هى فى دهن قطعة من الخبز بالزبد. على الصفحة الأولى من الجريدة كان عنوان بالخط العريض: "مناوشات مستمرة ضد الألمان فى الممر" لقد كان هناك عنوان مشابه منذ بضعة أسابيع على الصفحات الأولى للجرائد وتقارير عن تبادل النيران على الحدود البولندية وعن اللاجئين الذين تركوا منطقة القتال البولندية ولجأوا إلى الرايخ. تركت الجريدة جانبًا ثم قرأت إعلانًا لشركة للخمور كانت تمدنا أحيانا بمنتجاتها عندما كان والدى لا يزال على قيد الحياة، حيث كانت تقدم لنا بأسعار رخيصة أى نوع من خمور "ريزلينج". تركت أيضا الإعلان جانبًا وفى هذه الأثناء كانت والدتى قد انتهت من إعداد الخبز المدهون بالزبد ووضعته فى طبقى وقالت: "كل شيئًا!" ثم انهمرت فى بكاء مكتوم عنيف، ولم أتمالك نفسى من عدم النظر إليها، فإننى حقًا لا أستطيع رؤية إنسان يعانى، لكننى لم أدرك إلا فى تلك اللحظة، أنه لابد أن يكون هناك ثمة شىء يتعلق بالبريد. لابد أنه بسبب بريد اليوم.

ضغطت على السيجارة لإطفائها، وقضمت قطعة من الخبز المدهون بالزبد وأخذت أول الخطابات، وعندما التقطته عاليًا رأيت أن بأسفله توجد بطاقة بريدية أيضًا، غير أننى لم أشاهد "تيكيت" البريد المسجل، تلك الوريقة التافهة التى أحتفظ بها حتى يومنا هذا، والتى تبعث فى داخلى نداء الإحساس المرهف. قمت أولاً بقراءة الخطاب وكان مرسلاً من العم "إدى"، لقد كتب العم "إدى" يقول إنه

أصبح أخيرًا مستشارًا للتعليم العالى بعد أن ظل يعمل مجرد مدرس لسنوات طوال، إلا أنه مضطر إلى نقل نفسه إلى منطقة نائية فى هونسبروك، وقلما كان وراء ذلك أى تحسن مالى يذكر، غير أنه زجَّ نفسه فى ظروف اجتماعية بائسة تعيشها هذه المنطقة. غير أنه كتب أيضا يفيد بأن أولاده كانوا يعانون من السعال الديكى وأنه هو يعانى من كل شىء ويقول ليتنا نعرف حقًا لماذا. لقد عرفنا لماذا، وهو مايجعلنا نعانى. إن الكثير يعانون".

وعندما أردت الإمساك بالبطاقة البريدية، أدركت أنها اختفت، لقد أخذتها والدتى ورفعتها أمام عينيها فى حين أخذت أنا أحملق فى قطعة الخبز المدهون بالزبد وأقلب قهوتى وانتظرت. إننى لم أنس ذلك اليوم، لقد بكت والدتى مرة واحدة ببشاعة: عندما مات والدى، وآنذاك لم أتمالك قواى أيضا من النظر إليها، نوع من الخجل لم أعرف له اسمًا منعنى من أن أواسيها، حاولت أن أقضم جزءًا من قطعة الخبز المدهون بالزبد ولكنه وقف فى حلقى، لأننى أدركت فجأة أنه قد يكون هناك ثمة شىء ما يخصنى جعل والدتى تخرج عن وعيها إلى هذا الحد. تشدقت الوالدة بأى كلام لم أفهمه، وأعطتنى البطاقة، وهنا شاهدت عليها "تيكيت" البريد المُسجل، هذا المستطيل المحاط بإطار أحمر اللون يخترقه شريط أحمر آخر يقسمه إلى مستطيلين اثنين وبداخل أصغر هذين المستطيلين يوجد الحرف "ر" مكتوبًا بالخط الأسود السميك وبداخل المستطيل الآخر توجد الكلمة

"دوسلدورف" والعدد ٦٣٤، وماعدا ذلك فالبطاقة البريدية تبدو عادية تمامًا. كانت مرسلة لى ومحرر على ظهرها: السيد برونو شنايدر، يلزم تواجدكم فى قشلاق شليفن فى آدنبروك يوم ٣٩/٨/٥، للاشتراك فى تدريبات لمدة ثمانية أسابيع... كانت الكلمات برونو شنايدر والتاريخ وآدنبروك مكتوبة على الآلة الكاتبة، أما كل ما هو موجود غير ذلك فهو صيغة مطبوعة مُسبقا وبأسفلها أشبه بالشخبطة، وبعد ذلك مطبوع كلمة "رائد" إننى الآن أعرف أن الشخبطة كانت عديمة الأهمية، حيث إن ماكينة إكليشيه توقيع الرائد يمكن أن تقوم بنفس مهمة التوقيع وكان المهم فى الأمر هو فقط الورقة الصغيرة الملصقة التى بسببها اضطرت والدتى إلى التوقيع على إيصال باستلام البطاقة البريدية. وضعت يدى على ذراع والدتى وقلت: "يا ربى!، لمدة ثمانية أسابيع فقط". وقالت والدتى "نعم" وقلت أنا "ثمانية أسابيع فقط"، كنت أعلم أننى أقول خلاف ما أبطن، وأخذت والدتى تجفف دموعها وقالت: "نعم بالطبع". كان كلانا يقول خلاف ما يبطن دون أن نعرف سببًا لهذا التسويف ولكننا فعلنا ذلك وعرفنا السبب.

أمسكت ثانية بقطعة الخبز المدهون بالزبد وهنا جال بفكرى أن اليوم كان الرابع من الشهر، ولابد لى فى الساعة العاشرة من اليوم التالى أن أكون على بُعد ثلاثمائة كيلو متر شرقًا. شعرت بأننى أصبحت شاحب الوجه. أعدت الخبز ثانية إلى حيث كان ونهضت دون أن أبالى بالوالدة. ذهبت إلى حجرتى. وقفت أمام مكتبى وشددت

الدرج خارجًا وأزحته إلى الداخل ثانية. نظرت من حولى وأحسست بأن ثمة شيء قد حدث إلا أننى لا أعرفه. إن الحجرة لم تعد ملكًا لى وكان هذا كل ما فى الأمر. إننى الآن أعرف ذلك ولكن آنذاك كنت أفعل أشياء لا معنى لها كى أؤكد لنفسى ملكيتى لهذه الحجرة. لم تكن هناك جدوى عندما كنت أبحث عن خطاباتى فى الصندوق الكرتون وأحسن ترتيب كتبى، وقبل أن أفطن إلى ما كان يجب أن أفعله، بدأت فى ملء حقيبة يدى: قمصان، كيلوتات، فوط، جوارب، ثم ذهبت إلى الحمام لإحضار ماكينة حلاقتى، أما الوالدة فكانت لاتزال تجلس على مائدة الأفطار ولم تعد تبكى، كما أن قطعة الخبز المدهونة بالزبد لاتزال موجودة فى مكانها ولاتزال القهوة فى فنجانى. قلت لوالدتى: "سأذهب للتحدث تليفونيًا عند عائلة جيسيلباخ للاستفسار عن موعد سفرى بالتحديد".

عندما عدت من عند عائلة جيسيلباخ كانت الساعة تدق الثانية عشرة وكانت طرقتنا تفوح برائحة اللحم المحمر والقرنبيط، وبدأت الوالدة فى تكسير الثلج إلى قطع صغيرة لتضعه فى جوال وتضرب عليه، كى تملأ به ماكينة الجيلاتى الصغيرة التى تمتلكها.

كان من المقرر أن يرحل قطارى فى الثامنة مساءً، بحيث أكون أنا باكرًا فى حوالى السادسة فى آدنبروك ويلزمنى ربع ساعة فقط للوصول إلى المحطة، وحدث أننى خرجت من المنزل فى الثالثة وكذبت على والدتى التى لم تكن تعرف كم يحتاج المرء من الوقت

كى يصل إلى آدنبروك. إن تلك الساعات الثلاث التى قضيتها فى المنزل هى فى ذكرياتى أسوأ وقت أو قد تبدو لى أطول من كل الوقت الذى قضيته فيما بعد بعيدًا عن منزلى رغم أنها كانت فترة طويلة.

إننى لا أدرى ماذا كنا نفعل، لم يكن للأكل أى طعم بالنسبة إلينا وسرعان ما أعادت الوالدة إلى المطبخ اللحم المحمر والقرنبيط والبطاطس وجيلاتى الفانيليا، ثم احتسينا القهوة المتبقية من مائدة طعام الإفطار الموضوعة تحت قلنسوة صفراء اللون وأخذت أنا أدخن السجائر وكنا نتبادل بين الحين والآخر بعض الكلام. قلت أنا: ثمانية أسابيع، وقالت والدتى: نعم، نعم – نعم طبعًا، ولم تعد تبكى. أخذنا نسوف على بعضنا طيلة الثلاث ساعات، حتى إننى لم أعد أستطيع تحمل ذلك. باركتنى الوالدة وقبلتنى على وجنتى وعندما أغلقت الباب خلفى عرفت أنها كانت تبكى.

ذهبت إلى المحطة حيث كان هناك قمة الازدحام. كان الوقت فترة أجازات: أناس سعداء أكسبتهم الشمس لونا بنيًا يسيرون هنا وهناك. احتسيت كوبًا من البيرة فى صالة الانتظار وقررت فى حوالى الثالثة والنصف الاتصال تليفونيا بزميلتى التى كنت أريد اللقاء بها عند الشاطئ، وعندما كنت أختار الرقم حيث أدير القرص النيكل المخرم خمس مرات ويعود دائما كل مرة إلى وضع السكون، انتابنى ندم إلى حد كبير، غير أننى أدرت أيضا الرقم السادس، وعندما سأل

صوتها: "من المتحدث؟" التزمت الصمت لحظة ثم قلت ببطء: "برونو" و"هل يمكنك الحضور؟ إننى مضطر إلى الرحيل إلى الجيش".

فقالت: "على الفور؟"

فقلت: "نعم"

فكرت هى لحظة وكنت أنا أسمع فى التليفون أصوات الآخرين الذين كانوا يجمعون على الملأ نقودًا لشراء جيلاتى.

فقالت هى: حسنًا، سأحضر إلى المحطة؟"

فقلت أنا: "حسنًا"

وبسرعة كبيرة جدًا حضرت إلى المحطة، وإننى لم أعرف للآن سبب ذلك، على الرغم من أنها أصبحت فعلاً زوجتى منذ عشر سنوات، والآن لا أدرى، هل لى أن أندم على هذا الحديث التليفونى. إنها كانت دائما تعمل على ترك مكان عملى شاغرًا، كم كانت تبعث الحياة كل مرة فى طموحى الزائل عندما أعود إلى المنزل. إننى حقًا أدين لها بالشكر، لأن إمكانيات الترقى التى كانت متاحة أمام وظيفتى كان يتأكد حدوثها. المهم أننى أيضًا لم أمكث معها آنذاك وقتًا طويلاً على قدر ما كنت أستطيع البقاء. ذهبنا إلى السينما وفى صالتها الخاوية الشديدة الحرارة والمظلمة قبلتها على الرغم من أن رغبتى فى ذلك كانت ضئيلة، قبلتها معظم الوقت وذهبت إلى الرصيف فى

السادسة على الرغم من أنه كان لدى وفرة من الوقت حتى الثامنة. وعلى رصيف المحطة قبلتها مرة أخرى وصعدت إلى أى قطار مسافر شرقًا.

منذ ذلك الحين لم أعد أستطع رؤية أى شاطئ دون أن أشعر بالألم، وهكذا يصبح شعورى خاطئا تجاه الشمس والماء ومرح الناس، وأصبحت أفضل التسكع بمفردى فى شوارع المدينة خلال الطقس الممطر، والذهاب إلى السينما حيث لا أضطرّ إلى تقبيل أحد بعد ذلك. إن إمكانيات الترقى فى الشركة لم تستنفذ بعد، حيث يمكننى أن أصبح مديرًا وربما سأكون كذلك طبقًا لقانون اللامبالاة المنبوذة، لأن هناك اقتناع بأننى مرتبط بالشركة وسوف أحقق لها شيئًا، والحقيقة هى أننى لست متعلقًا بها ولا أفكر فى تحقيق شىء لها.

إننى غالبًا ما كنت أنظر بإمعان كبير إلى تيكيت البريد المسجل هذا، والذى أحدث تغييرًا مفاجئًا جدًا فى حياتى، فعندما تعقد فى الصيف امتحانات اختيار الصبية العمال، كان الناجحون يأتون إلىّ بعد ذلك بوجه مشرق كى يجعلونى أعبر لهم عن تهانىّ فأضطر إلى إلقاء خطبة موجزة يكون فيها لكلمة "إمكانيات الترقى" دور تقليدى.

حكاية طريفة

هاينريش بول

فى ميناء على أحد شواطئ غرب أوروبا كان رجل فقير الملبس يَرقُدُ وقد غَلَبهُ النُعاس فى قارب صيد له، بينما فى الوقت نفسه يقوم سائح حسن الهندام بِوضع فيلم مُلوّن جديد فى الكاميرا التى معه كى يقوم بتصوير ذلك المنظر البيئى الخلاب حيث: سماءٌ صافية وبحرٌ مياهه زرقاء وسلاسل موجاته هادئة ناصعة البياض وقارب أسود اللون وصيادٌ يلبس طاقية الصيادين الحمراء. وراح يلتقط صورة للمنظر: تِكْ.. ومرة أخرى تك. وبما أن كل الأشياء الطيبة تكون ثلاثة وللتأكيد زيادة فمرة ثالثة تك.

هذا الضجيج المقلق وغير المريح المنبعث من الكاميرا يوقظ الصياد الحالم فينهض وهو فى حالة من النعاس، حيث أخذ يبحث فى خمول عن علبة سجائره ولكنه قبل أن يجد ما يبحث عنه قام السائح المتحمس برفع علبه سجائر أمام أنفه ولكن لم يقم بوضع سيجارة فى فمه مباشرة بل أعطاها له فى يده ثم قام بعمل "تك" رابعة ولكنه أصدرها هذه المرة عن الولاعة وبذلك يختتم أدبه الفيَّاض.

ومن خلال ذلك الكم الكبير من الأدب المتدفق والذى قلما يمكن تقنينه ولا يمكن ملاحقته، حدث نوع من تشتت الفكر الثائر لدى

الصياد والذى استَغلَّه السائح الذى يتقن لغة المنطقة وذلك كى ينفذ من خلاله لإجراء حوار معه: "ستقوم اليوم بتحقيق صيد طيب"

الصياد يهز رأسه نافيًا، "لقد قيل لى أيضًا إن الطقس مناسب" فيهز الصياد رأسه نافيًا، "هل ستخرج إذن للصيد؟" يعود الصياد ويهز رأسه نافيًا، وهنا يزداد تهيج أعصاب السائح، فهو بالقطع يهمه مصلحة هذا الإنسان الفقير الملبس، كما أن الأسى يأكل قلبه لهذه الفرصة الضائعة.."وا أسفاه ! ألا تشعر براحة نفسية؟"

وأخيرًا ينتقل الصياد من لغة الرموز إلى القول الجاد فيقول: "إننى أشعر بسعادة بالغة ولم أشعر بأننى كنت من قبل أسعد من الآن" ثم ينهض ويتمطى وكأنه يريد الإعلان عن أنه قوى البنية ويقول: "إننى أشعر بأننى فى حالة رائعة"

وهنا يصبح تعبير وجه السائح أكثر بؤسًا. إنه لم يعد يستطيع أن يخفى السؤال الذى كان يهدد قلبه بالانفجار وهو: "ولكن لماذا لاتخرج للصيد؟" وهنا يأتى الجواب سريعًا ومقتضبًا: "لأننى خرجت فعلاً للصيد صباح اليوم".

"وهل كان الصيد طيبًا؟".

"نعم، كان طيبًا لدرجة أننى لست فى حاجة إلى الخروج مرة أخرى، لقد رزقت بأربع قطع من الجمبرى موجودة فى سلالى وقمت أيضًا باصطياد دستتين تقريبًا من أسماك الماكريل".

وأخيرا يفيق الصياد ويعود إلى نشاطه ويربت على كتفى السائح مهدئا إياه، لأن صاحب تعبير الوجه المهموم يبدو له بمثابة تعبير عن هم لا طائل منه ولكنه مؤثر، لذلك فإنه يهم لتهدئة سريرة هذا الغريب قائلاً: "إننى لدى ما يكفينى حتى الغد وبعد الغد، فلتدخن سيجارة من عندى".

"بكل سرور، شكرًا"

وهنا يتم التقاط صورة خامسة بينما السجائر فى الأفواه، ثم يجلس الغريب على حافة القارب ممتعضًا ويلقى بالكاميرا دون الإمساك بها فى يده لأنه يحتاج الآن إلى يديه ليجعل حديثه مؤثرًا ويقول: "إننى حقًا لا أريد التدخل فى شئونك الخاصة، ولكن لك أن تتخيل أنك لو خرجت للصيد مرةً ثانيةً وثالثةً وربما رابعةً أيضًا وقد تصطاد ثلاث أو أربع أو خمس أو ربما أيضًا عشر دست من أسماك الماكريل، ياليتك تتخيل ذلك!"

ويهز الصياد رأسه مستجيبًا

بينما يستمر السائح قائلا: "وربما ستستطيع الخروج للصيد ليس اليوم فقط، بل غدًا وبعد غد أو فعلاً كل يوم مناسب مرتين أو ثلاث أو أربع مرات، ألا تدرى ما قد يحدث؟"

ويهز الصياد رأسه نافيًا

ويستمر السائح قائلاً: "وستكون لديك الإمكانية فى خلال عام على أقصى تقدير أن تمتلك موتورًا، وقاربًا ثانيًا فى خلال عامين، وربما تستطيع خلال ثلاث أو أربع سنوات شراء زورق شراعى صغير له قاربان، وبمساعدة الزورق ستستطيع بطبيعة الحال أن تصطاد أكثر وأكثر وسيكون لديك يومًا ما زورقين وستستطيع... وهنا يحبس الحماس صوته لبضع لحظات ثم يستطرد قائلاً: وستستطيع أن تبنى ثلاجة صغيرة، وربما مصنعًا لتدخين الأسماك وفيما بعد مؤسسة لتمليح الأسماك ويصبح لك طائرةً هيليوكوبتر خاصة تستطيع أن تحلق بها وتتفق على كميات السمك وتعطى إشارات لاسلكية إلى زوارقك، وربما تستطيع الحصول على حق صيد سمك السلمون وتفتتح مطعمًا للأسماك وتصدِّر الجمبرى إلى باريس مباشرة دون أى تاجرٍ وسيط، ثم..." وهنا يحبس الحماس ثانية لغة الغريب وأخذ يهز رأسه ويسيطر البؤس على أعماق قلبه وتكاد تكون بهجة الأجازة قد تبددت ويقوم بالنظر إلى جزر البحر المتلاطم فى سلام حيث تقفز الأسماك التى لم يتم اصطيادها بعد وكلها حيوية ويقول: "وبعد ذلك..."، غير أن الانفعال يحبس لغته ثانيةً، وهنا يربت الصياد على ظهره وكأنه طفل قد شَرِق، ويسأل فى هدوء قائلاً: "ثم ماذا؟"

ويرد الغريب فى حماس دفين قائلاً: "ثم، ثم تستطيع أن تجلس فى هدوء هنا فى الميناء ويغلب عليك النعاس فى الشمس وتستمتع بالنظر إلى البحر الرائع".

ويرد الصياد قائلاً: "ولكننى حقيقة أفعل ذلك الآن، إننى أجلس وكلى هدوء فى الميناء ويغلب على النعاس ولم يكن سوى ضربات التقاط صورك هى التى أقلقتنى".

وهنا انصرف السائح المتعظ وهو يمعن التفكير، لأنه كان قبل ذلك يعتقد أيضًا أنه ينبغى عليه أن يعمل كى لا يحتاج للعمل بعد ذلك يومًا ما، ولكنه الآن لم يبق عنده أى أثر للإشفاق على الصياد الفقير الملبس اللهم إلا قليل من الحسد.

على الكوبرى(*)

هاينريش بول

لقد أكملوا ساقى بأطراف صناعية وأعطونى موقع عمل أستطيع الجلوس فيه: أحصى عدد المشاة الذين يمرون على الكوبرى الجديد. إنهم يسعدون حقًا عندما يؤكدون جهدهم بالأرقام وإنهم فى هذه الدنيا التى لامغزى لها يرهقون تفكيرهم بأرقام تافهة. إن كل يوم يمر بأكمله، كل يوم يمر بطوله وفمى الأصم يعمل مثل الساعة حيث أظل أضيف عددًا إلى عدد حتى أقوم مساء كل يوم بإهدائهم إجمالى الإحصائية التى تؤكد انتصارهم. وكانت وجوههم تشع بريقًا فى كل مرة عندما أخبرهم بالنتيجة خلال وردية عملى، وكلما ارتفع العدد

(*) إنها قصة قصيرة للكاتب الراحل هاينريش بول (١٩١٧-١٩٨٥) وكان المترجم هو أول من نعاه لأهل الفكر والأدب فى أعمدة متواضعة على صفحة فكر عالمى بجريدة "الأهرام" بتاريخ ١٩٨٥/٨/٢.

إن هذه القصة تعرف فى تاريخ الأدب الألمانى بعنوان آخر هو "الحبيبة التى لم تدخل فى التعداد" يتميز بول بأنه غالبًا ما يستخدم تكنيك الراوى وأن أبطال أعماله هم رواة معظمهم ضحايا الحرب نفسيًا وجسديًا، وبطل هذه القصة إنسان أفقدته الحرب ساقيه وأمانته واكتراثه بمن حوله من المسئولين فيسفههم فكرًا وأداءً ويتحدث عنهم فى تجاهل مستخدمًا الضمير الشخصى الغائب ورغم ذلك كله فلا يزال قلبه ينبض بالحب. (المترجم)

كلما ازدادت وجوهم إشراقًا، ولهم الحق فى أن يذهبوا إلى مضاجعهم منشرحى الصدور عندما يكون قد مر العديد من الآلاف على هذا الكوبرى حديث الإنشاء غير أن إحصائياتهم لاتتطابق مع الواقع، يؤسفنى أن أقول إنها لاتطابق الواقع لأننى إنسان لا يعتمد عليه على الرغم من أننى أفهم كيف أوقظ الانطباع بأمانتى.

وكانت تنتابنى فرحة دفينة عندما أقوم أحيانًا باختلاس عدد دون إضافته، ثم أعود، عندما أشعر بالعطف تجاههم فأتصدق عليهم بقليل من الأعداد. إن سعادتهم فى يدى، عندما أكون ممتعض المزاج وعندما لا أجد شيئًا أدخنه فإننى أعطى المتوسط وأحيانا أقل من المتوسط وعندما يرفرف قلبى فرحًا وعندما أكون سعيدًا فإننى أجعل كرمى ينساب ليعطى رقمًا من خمسة أعداد وبذلك يصبحون هم فى منتهى السعادة.

لقد كانوا كل مرة ينتزعون من يدى النتيجة فى تلهف وتزداد أعينهم لمعانًا، يربتون على كتفى، بينما هم فى الحقيقة لا يأبهون بأى شىء، ثم يبدأون فى الضرب والقسمة واستخراج النسبة المئوية، ولا أدرى ماذا أيضًا. إنهم يحسبون كم من المارة يمرون على الكوبرى كل دقيقة وكم سيكون عدد الذين قد عبروا الكوبرى فى عشر سنوات إنهم يعيشون المستقبل البعيد، إنهم متخصصون فى المستقبل البعيد، إلا أننى يؤسفنى حقًا أن أقول بأن كل شىء غير دقيق لأنه عندما تمر حبيبتى فوق الكوبرى – وهى تمر مرتين يوميًا – فإن قلبى يتوقف

بكل بساطة عن الدق. إن دقات قلبى التى لا تمل تتوقف بكل بساطة إلى أن تصل حبيبتى عند منحنى الطريق ثم تختفى. وجميع المارة الذين يمرون فى هذا الوقت لا أفصح للمسئولين عن عددهم، لأن هاتين الدقيقتين هما ملكى أنا وحدى دون غيرى، ولن أتركهم يسلبونهما منى، يُضاف إلى ذلك أنها عندما تعود فى المساء من محل الجيلاتى، حيث عرفت فى هذه الأثناء أنها تعمل فى محل لبيع الجيلاتى، فإنها تمر على الجانب الآخر من طريق المشاة على مشهد من فمى الأصم الذى يضطر إلى العد والعد، غير أن قلبى يتوقف عن الدق ولا أعود إلى العد من جديد إلا بعد أن تختفى هى عن ناظرى. أما جميع من يحالفهم الحظ ويفلتون خلال هاتين الدقيقتين من عَيْنَىَّ المغشيتين فإنهم لايدخلون فى أبدية الإحصائية أيا كانوا: أشباه رجال وأشباه نساء وكائنات تافهة، كلها لن تدخل فى المستقبل البعيد للإحصائية.

من الواضح تمامًا أننى أحبها، غير أنها لا تدرى عن هذا الحب شيئًا، كما أننى أيضا لا أريدها أن تعلم شيئًا عن ذلك ولا أرضى لها أن تكترث بمدى الاضطراب الكبير الذى يحدث من جرائها لكل هذه العمليات الحسابية، وكل ما أبغيه هو أن تظل هى وديعة وغير عابئة، تذهب كعادتها إلى محل الجيلاتى بشعرها البنى الطويل وقدميها الرقيقتين، كما ينبغى لها أن تجمع بقشيشًا كبيرًا، إننى أحبها، إنه من الواضح تمامًا أننى أحبها.

وعندما وضعونى فى الآونة الأخيرة تحت المراقبة، وحدث أن الزميل الذى يجلس على الجانب الآخر ويقوم بإحصاء السيارات حذرنى فى الوقت المناسب وبالقدر الكافى، فانتبهت بشكل خرافى وأخذت أحصى كالمجنون، ولم يكن لعداد كيلومترى أن يحصى أفضل منى، حتى إن رئيس الإحصائية نفسه جلس هناك على الجانب الآخر وقارن فيما بعد نتيجة ساعة عمل لى بنتيجة ساعة عمل له وكانت إحصائيته تزيد بعدد واحد عن إحصائيتى حيث كانت حبيبتى الصغيرة تمر فى هذه اللحظة. إننى لن أدع هذه الطفلة الجميلة تدخل فى عالم المستقبل البعيد. حبيبتى الصغيرة هذه، لن أدعها تدخل ضمن عمليات ضرب أو قسمة أو استخراج نسبة مئوية لقد نزف قلبى عندما اضطررت إلى العد دون أن أتمكن من التمتع بمشاهدتها. أما الزميل الذى يقوم بإحصاء السيارات فإننى مدين له بجزيل الشكر لأن الأمر صراحة كان يتعلق بكيانى.. لقد ربت رئيس الإحصائية على كتفى وقال بأننى كفء ويُعتمد علىَّ وأمين وقال: "إن الخطأ فى عدم عد واحد فقط فى الساعة لا يهم كثيرًا، لأننا على أية حال نضيف نسبة عجز مئوية معينة، سآمر بترقيتك لتحصى مستقبلا العربات الكارو.

إن العربات الكارو شىء رائع حقا. العربات الكارو هى أمر يدعو إلى سرور لم يكن له مثيل فى حياتى من قبل، لأنه لا يمر سوى خمس وعشرين عربة كارو فى اليوم على أقصى تقدير. كما

أن المرء يقوم كل نصف ساعة بإضافة رقم إلى سابقه فى ذاكرته وإنه شىء رائع حقًا.

إن إحصاء العربات الكارو سيكون رائعًا، ففى الفترة ما بين الرابعة والثامنة يحظُر تماما على أية عربة كارو المرور على الكوبرى، وبالتالى سأتمكن خلال هذه الفترة من التنزُّه سيرًا على الأقدام أو الذهاب إلى محل الجيلاتى حيث يمكننى بذلك أن أنعم بمشاهدتها طويلاً أو ربما أرافقها لمسافة قصيرة وهى فى طريقها إلى المنزل، إنها حبيبتى التى لم تدخل فى التعداد.

كما فى الروايات الرخيصة

هاينريش بول

كنا قد دعونا عائلة تسومين فى المساء، أناس لطفاء أرجع فضل التعرف عليهم إلى والد زوجتى. إنه منذ حفل زفافنا منذ عام وهو يسعى الى أن أتعرف على أناس يمكنهم خدمتى فى إدارة أعمالى والسيد تسومين يمكنه أن يخدمنى: إنه رئيس لجنة تقوم بتوزيع أوامر تكليف إنشاء مناطق سكنية كبيرة خصوصًا وأننى ارتبطت بالعمل فى شركة لإنشاء أساسات المبانى.

كنت عصبيًا فى هذا المساء فى حين قامت بيرتا زوجتى بتهدئتى قائلة: إن هناك بعض الشك فى حقيقة أنه قد يحضر أو يكون قد قبل الدعوة أساسًا، حـــاول جاهدًا بحذر أن تجعل الحديث يتطرق إلى أمر التكليف فأنت تعلم أن غدا سيتم توزيع أوامر التكليف.

كنت قد تركت الردهة مظلمةً ووقفت خلف ستارة باب المنزل فى انتظار عائلة تسومين، دخَّنت سجائر وتركت الأعقاب تسقط على البلاط ودهستها وأزحت الدواسة فوق الأعقاب المدهوسة.

بعد ذلك بقليل أضأت الردهة ووقفت خلف نافذة حجرة الحمام ثم أخذت أفكر طويلاً فى سبب أن تسومين كان قد رحَّب بقبول

الدعوة؛ حيث إن الأمر قد لا يهمه كثيرًا فى أن يتناول الطعام معنا وفى حقيقة أن رسو المزاد الكبير الذى كنت قد اشتركت أنا فيه والذى سيتم الإعلان عنه غدًا ربما قد شكل له حرجًا كبيرًا مثلما كان الحال بالنسبة إلىّ: غير أن الميعاد كان قد حدده والد زوجتى ولم يكن بوسعى عمل أى شىء.

لقد فكرت أيضًا فى أمر التكليف. كان تكليفًا كبيرًا وربما أتحصل من خلاله على عشرين ألف مارك وأردت أن أسعد بالحصول عليه لأننى كنت أريد الحصول على نقود.

كانت بيرتا قد اختارت لى بدلتى: جاكت داكن، بنطلون فاتح اللون بعض الشىء ولون رباط العنق محايد – هكذا تسميه: بنى فاتح يميل إلى الاحمرار الأخاذ. لقد تعلمت مثل هذه الأمور فى بيت عائلتها وفى المدرسة الداخلية مع الراهبات وتعلمت أيضا متى يقدم المرء الكونياك للضيوف ومتى المشروب الفاتح للشهية. كيف يختار المرء أنواع الحلو، كل هذا تعلمته فى منزل عائلتها وفى المدرسة الداخلية مع الراهبات وإنه من المستحب الزواج من امرأة تعرف بجدارة مثل هذه الأشياء.

لكن بيرتا كانت عصبية أيضا: عندما دخلت حجرة الحمام ووضعت يديها على كتفى لمس إبهاماها رقبتى فشعرت أن الإبهامين

كانا باردين ورطبين وقالت: إن الأمور ستسير فعلاً على ما يرام وإنك ستحصل على أمر التكليف.

قلت أنا: يا إلهى، إن الأمر بالنسبة إلىّ هو عشرون ألف مارك.

وقالت هى بصوت منخفض: "لاينبغى على المرء أن يذكر اسم الله إطلاقًا فى أمر يتعلق بالنقود".

سيارة داكنة اللون وقفت أمام منزلنا، كانت ماركتها غير معروفة لى، غير أنها كانت تبدو إيطالية، ذئبة رومانية من الفضة أمامًا فوق المبرد.

وهنا همست بيرتا: "تمهل! تمهل! انتظر حتى يضربا الجرس، اتركهما يقفان ثانيتين أو ثلاثا ثم توجه ببطء إلى الباب وافتح".

ثم ربتت على رقبتى ودخلت المطبخ ورأيت أنا عائلة تسومين وهما يصعدان السلم، إنه رشيق القوام وعملاق وله سالف رمادى اللون ومن نوع الرجال الذين كان يسميهم المرء منذ ثلاثين عامًا شيوخ الفجور حيث كانت الأمهات المهمومات تحذر بناتهن من الاختلاط بهم، أما مدام تسومين فكانت من نوع السيدات الداكنات النحيفات اللاتى عند النظر إليهن أتذكر الليمون على الفور. صعد تسومين السلم أولاً ودققت النظر فى وجهه وأخذت الانطباع أن الملل

قد ألمَّ به كثيرًا فى أنه سيتناول الطعام معنا وفكرت: ولماذا حضر إذن؟

ظل واقفا أمام المنزل ورمى عقب سيجارته فى الحديقة الأمامية وقال: لقد بدأنا أكثر تواضعا، أليس كذلك؟. وقالت هى: نعم، إنك على حق. ثم ضرب الجرس وانتظرت أنا ثانية، انتظرت ثانيتين ثم توجهت إلى الباب وفتحت.

قلت: حقا، إنه من اللطف تماما أنكم حضرتم إلينا.

ذهبنا حاملين زجاجات الكونياك إلى داخل المسكن الذى أرادت عائلة تسومين الاستمتاع برؤيته. أما بيرتا فلقد بقيت فى المطبخ كى تضغط على أنبوبة المايونيز ليخرج منها على السندوتشات الفاتحة للشهية حيث تتقن عمل ذلك، أشكال على هيئة قلوب، تموجات وتعرجات، أشكال على هيئة منازل صغيرة وأحذية تجعل الواحد يفكر فى حذاء سندريللا.

لقد حاز مسكننا إعجاب عائلة تسومين؛ وأخذا يبتسمان عندما تفقدا المكتب الكبير فى حجرة مكتبى وأحسست أيضا فى هذه اللحظة أنه ضخم بعض الشىء واحمررت، بينما قالت مدام تسومين وهى تبتسم: "انظر، إنه يمكنكم أن تزدادوا احمرارًا".

مدح تسومين دولابا صغيرا على الطراز الروكوكو كنت قد حصلت عليه من جدتى فى مناسبة زفافى وتمثالاً للسيدة العذراء على الطراز الباروكى فى حجرة نومنا.

عندما عدنا إلى حجرة الطعام كانت بيرتا قد أعدت الطعام وأبدعت فيه وبدا كل شيء لطيفا للغاية وأصبح جو طعام مريحا.

تحدثنا عن أفلام وكتب وعن الانتخابات الأخيرة، أثنى تسومين على الأنواع المختلفة للجبن التى كانت توجد ضمن مكونات التحلية، كما أثنت مدام تسومين على القهوة وقطع التورتة الصغيرة. ثم عرضنا على عائلة تسومين الصور الفوتوغرافية لرحلة زفافنا: صور لشاطئ بريتونيا، حمير إسبانية وصور لشوارع الدار البيضاء.

عاودنا الآن احتساء الكونياك وعندما نهضت وأردت إحضار الكرتونة التى بها صور فوتوغرافية عن فترة خطوبتنا أعطتنى بيرتا إشارة فبقيت جالسًا ولم أحضر الكرتونة وساد الهدوء التام لدقيقتين حيث إنه لم يعد هناك مادة حديث وجلسنا ونحن جميعا نفكر فى أمر التكليف؛ وأخذت أنا أفكر فى العشرين ألف مارك وجال بفكرى أننى بوسعى خصم زجاجة الكونياك بأكملها من الضرائب لكنها كانت قد فرغت لنصفها فقط. احمررت ثانيةً ونظر تسومين إلى الساعة وقال: "يا خسارة، الساعة العاشرة لابد أن ننصرف، لقد كانت أمسية لطيفة

للغاية" ونهضت مدام تسومين وقالت: "كان اللقاء رائعًا وإننى أتعشم أن نراكم عندنا مرة".

"إننا سنسعد بالحضور إليكم" قالت بيرتا ذلك وأعطتنى إشارة من جديد، وقفنا نحوم حول أنفسنا لنصف دقيقة وعاودنا جميعًا نفكر فى أمر التكليف وشعرت أنا أن تسومين توقع أن آخذه جانبا وأتحدث معه عن ذلك، غير أننى لم أفعل شيئا. قام تسومين بتقبيل يد بيرتا وتقدمت أنا وفتحت الأبواب وأمسكت الباب لمدام تسومين وأخذت وأنا أرتد إلى الخلف أربت سريعا على الذئبة الرومانية ولقد كانت باردة ورطبة بعض الشيء بفعل الندى ويوجد بأسفل عند الثدى قطرات صغيرة ملموسة غير أن روموولوس وريموس ليسا متوجودين للرضاعة منه.

وقفت بيرتا عند باب المنزل عندما عدت؛ لقد كان المساء دافئًا ومضيئًا؛ دخنت سيجارتى إلى آخرها وألقيت البقية بهدوء فى الحديقة الأمامية وهنا قالت بيرتا بلطف: "لماذا؟، لماذا لم تتحدث معه عن أمر التكليف، إنك تعرف جيدًا أنه سيتم غدًا منح الأمر".

فقلت أنا: "يا إلهى، لم أكن أعرف كيف ينبغى علىَّ أن أتوجه بالحديث عنه".

وقالت بيرتا بلطف: "أرجوك ألا تذكر اسم الله فى مجال إدارة الأعمال، لقد كان لزامًا عليك تحت أى مبرر أن ترجوه الدخول معك

إلى حجرة المكتب وتتحدث معه هناك، ولاشك أنك لاحظت كم كان اهتمامه بالفن كبيرًا، كان ينبغى عليك أن تقول: إننى لدى هناك أيضًا صليب يوضع على الصدر يرجع إلى القرن الثامن عشر ولربما يهمك أن تراه وبعد ذلك..."

قلت أنا: "نعم، نعم، إننى أعرف ذلك ولكننى ربما لا أصلح لمثل هذه الأشياء".

والتزمت الصمت وتنهدت هى وربطت المريلة حول خصرها وتبعتها أنا داخل المطبخ، حيث قمنا بتصنيف قطع المشهيات المتبقية داخل الثلاجة، وأخذت أنا أزحف على الأرض هنا وهناك بحثًا عن غطاء أنبوبة المايونيز وثبَّت الغطاء القلاووظ على الأنبوبة وأخذت أضغط بشدة محتوى الأنبوبة إلى الأمام، لقد تعودت بيرتا دائما أن تترك الأنبوبة كما هى بعد الضغط عليها: مثل معجون الأسنان، كريم الشعر، ورنيش الأحذية، واضحٌ أنه لم يستطع أحد، لا فى البيت ولا عند الراهبات، تعويدها على أنه يجب على المرء قفل الأنابيب بعد الاستعمال. لقد أزحت بقية الكونياك بعيدًا وأحصيت السيجار: كان تسومين قد دخن واحدةً فقط، قمت بإفراغ طفايات السجائر وأكلت وأنا واقف قطعة صغيرة من التورتة وتحققت من أنه ربما لا يزال يوجد قهوة فى البرَّاد غير أن البراد كان فارغًا. وعندما عُدنا إلى داخل المطبخ كانت بيرتا واقفةً هناك ومفتاح السيارة فى يدها.

سألت هى: ما الأمر إذن؟، ثم قالت، طبعًا لابد لنا أن نذهب إلى هناك، إلى عائلة تسومين، فيما تفكر إذن، إن الساعة الآن العاشرة والنصف.

وقالت أيضًا: وحتى لو كان الوقت منتصف الليل، إن كل ما أعرفه هو أن الأمر يتعلق بعشرين ألف مارك ألا تعتقد أن عائلة تسومين بهذه الحساسية للغاية".

ذهبت هى إلى حجرة الحمام كى تهندم نفسها ووقفت أنا خلفها أدقق النظر فيها وكيف كانت تمسح فمها وتخط خيوط المكياج من جديد وهنا جال بفكرى لأول مرة كيف أن هذا الفم واسع وبسيط، وعندما كانت تقوم بتثبيت عقدة رباط العنق لى كان بإمكانى تقبيلها كما كنت أفعل ذلك دائما فى الماضى عندما كانت تربط لى رباط العنق، ولكننى لم أقبلها والتزمنا الصمت ونحن فى طريقنا إلى الجراج.

فى المدينة كانت المقاهى والمطاعم ناصعة الإضاءة وكان الناس يجلسون خارجًا فى الشرفات وكانت أضواء الفوانيس تتجمع فى كئوس الآيس كريم الفضية وفى مبردات الزجاجات. وعندما كنا نضطر إلى الوقوف عند أى تقاطع كانت بيرتا تنظر إلىَّ فى حيوية. عندما توقفنا عند منزل عائلة تسومين بقيت هى فى السيارة بينما صعدت أنا وحدى بالمصعد إلى أعلى وضغطت فورًا على الجرس

واندهشت لسرعة فتح الباب وابتسمت مدام تسومين وبدت غير مندهشة لرؤيتى؛ كانت ترتدى بيجامة سوداء لها بنطلون سيقانه هفهافة وانسيابية وانتابنى التفكير أكثر من ذى قبل فى الليمون.

وقلت: اعذرينى، أود التحدث إلى زوجك.

قالت هى: "إنه لايزال خارجًا وسيعود خلال نصف ساعة".

"ربما سيكون الوقت إذن متأخرًا للإثقال عليه أيضًا".

فقالت هى: "بالطبع لا، احضر دون إحراج، إننا نتأخر دائما فى التأهب للنوم".

فى الردهة رأيت الكثير من تماثيل السيدة العذراء، خمسة أو ستة بالتأكيد، على الطراز الغوطى والباروكى والروكوكو، إذا كان هناك شىء من هذا القبيل".

ابتسمت هى وأغلقت الباب بحذر بينما هبطت أنا بالمصعد إلى أسفل. كانت بيرتا قد اشترت لنفسها جريدة مسائية وأخذت تقرأ فيها وتدخن سيجارة، وعندما جلست إلى جوارها قالت هى: "أعتقد أنك ربما استطعت التحدث معها عن الموضوع".

من أين عرفت إذن أنه لم يكن موجودًا هناك؟"

"لأننى أعرف أنه يجلس فى نادى جافيل ويلعب الشطرنج مثل كل يوم أربعاء".

"كان لزامًا عليك أن تقولى لى ذلك مسبقًا".

وهنا قالت بيرتا وهى تقوم بطى الجريدة المسائية: "عليك أن تفهم، إننى أود مساعدتك فى أن تتعلم بنفسك إنجار مثل هذه الأمور، لقد كان بإمكاننا ببساطة الاتصال تليفونيًا بالوالد وكان بإمكانه أن ينجز لك الأمر من خلال حديث تليفونى واحد، غير أننى أريد حقًا أن تحصل أنت، أنت بمفردك على أمر التكليف. إننى لا أود أن يفهم الوالد أننا نحتاج إليه دومًا".

فقلت أنا: "حسنًا، إذن فماذا نفعل: ننتظر نصف الساعة أم نتوجه على الفور إلى أعلى ونتحدث معها؟" فقالت بيرتا: "من الأفضل أن نتوجه على الفور إلى أعلى" ثم وضعت الجريدة المسائية إلى جانبها على المقعد. نزلنا من السيارة وصعدنا سويًا بالمصعد إلى أعلى، وبينما كنا نحن نقف إلى جوار بعضنا فى المصعد قالت بيرتا: "إن الحياة تعتمد على إيجاد حلول وسط وتقديم تنازلات، لقد التزمت الصمت وأخذت أحصى الأدوار: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة. كانت النافذة المربعة للمصعد تسمح دائمًا بالنظر إلى الجدران ذات اللون الأخضر الفاقع وإلى جزء من درابزين السلم؛ وكان يبدو دائما وكأنه الجزء نفسه.

أبدت مدام تسومين دهشتها بالقدر القليل كالسابق عندما حضرت بمفردى، قامت بتحيتنا وتوجهنا خلفها إلى داخل حجرة

مكتب زوجها واحمررت ثانية عندما رأيت كيف كان مكتب تسومين ضئيلاً. أزاحت مدام تسومين كراسى فى اتجاهنا وأحضرت زجاجة الكونياك وقدمتها لنا، وقبل أن أتمكن من أن أقول شيئًا عن أمر التكليف أزاحت إلىَّ دوسيه أصفر اللون كان موضوعًا على مكتب زوجها وقرأت عليه "منطقة تانين إيدول السكنية" ونظرت فى رعب إلى مدام تسومين وإلى بيرتا غير أن كليهما ابتسمتا وقالت مدام تسومين: "افتح الدوسيه" وفتحته وكان بداخله دوسيه ثان وردى اللون حيث قرأت عليه "منطقة تانين إيدول السكنية، أعمال حفر"؛ فتحت أيضا هذا الغلاف ورأيت عرض التكاليف الخاص بى يتصدَّر عاليًا وكان أحدٌ قد كتب على الحافة بأعلى "أرخص عرض".

أحسست كيف احمررت من الفرحة وأحسست أن قلبى يدق وفكرت فى العشرين ألف مارك.

قلت بصوت منخفض وأنا أطوى غلاف المستندات "يا إلهى" ونسيت بيرتا هذه المرة أن تنبهنى.

قالت مدام تسومين وهى تبتسم: "هنيئًا، فلنشرب إذن" رفعنا الأكواب وابتسمنا لبعضنا البعض وشربنا ثم نهضت وقلت: "إنه ربما لا يليق غير أنك ربما تدركين أننى أود الذهاب إلى المنزل".

فقالت مدام تسومين: "إننى أفهمك جيدًا، غير أنه لا يزال هناك شيء بسيط يجب عمله". ثم أخذت الدوسيه وأخذت تفر صفحاته ثم

قالت: "إن سعر المتر المكعب المقدَّم منك يقل ثلاثين بفينيجًا عن سعر العرض التالى الأقل رخصًا، إننى أقترح أن ترفع سعر عرضك خمسة عشر بفينيجًا، وبذلك فإنك ستبقى دائمًا الأرخص وستحصل بذلك على أربعة آلاف وخمسمائة مارك زيادة، هيَا، افعل ذلك على وجه السرعة". ثم قدمت إلى الدوسيه فأخذته وأخرجت بيرتا قلمها الحبر من الحقيبة وفتحته بفك القلاووظ وقدمته إلىَّ؛ غير أننى كنت شديد الانفعال لدرجة أننى لم أستطع الكتابة، فأعطيت الدوسيه إلى بيرتا وراقبتها وهى بيد ثابتة تقوم بتغيير سعر المتر، كتبت المبلغ النهائى الجديد وأعادت الدوسيه إلى مدام تسومين، فقالت مدام تسومين: والآن يبقى فقط شىء ضئيل جدًا. خذ دفتر شيكاتك وحرر شيكًا بمبلغ ثلاثة آلاف مارك ولابد أن يكون الدفع نقدًا وخصمًا من حسابك".

كانت قد قالت لى ذلك، غير أن بيرتا هى التى أخرجت دفتر الشيكات الخاص بنا من حقيبة يدها وحررت الشيك بينما قلت أنا بصوت منخفض "إنه بدون رصيد".

فقالت مدام تسومين: عندما يتم إرساء المزاد سيكون هناك دعم نقدى مقدم ويتم إذن تغطية الشيك، قالت بيرتا: ربما أننى لم أدرك ذلك إطلاقًا عندما حدث ونحن نهبط بالمصعد إنها كانت سعيدة، غير أننى التزمت الصمت وأخذت أنظر خلال كابينة المصعد: رأيت

جدرانًا لونها أخضر هادئ وأجزاءً من درابزين السلم ذات اللون الأحمر الفاقع.

التقطت الجريدة المسائية التى كانت قد تزحلقت من على مقعد بيرتا وأخذت أطالع العناوين، بينما نحن فى طريق العودة إلى المنزل لقد اختارت بيرتا طريقًا آخر حيث سرنا خلال حى أكثر هدوءًا كنت أرى فيه الأنوار تخرج من النوافذ المفتوحة ويجلس الناس فى البلكونات ويشربون الخمر. لقد كانت ليلة دافئة وغير مظلمة.

وسألت بصوت منخفض ولمرة واحدة فقط: "أكان الشيك للسيد تسومين؟" وأجابت بيرتا بصوت منخفض أيضا: "طبعًا".

وضعت الجريدة المسائية أمامى فى صندوق الجوانتى ونظرت إلى يدى بيرتا الصغيرتين المائلتين إلى اللون البنى اللتين تحرك بهما عجلة القيادة فى أمان وهدوء. وفكرت، إنها الأيدى التى وقعت على الشيكات وضغطت على أنابيب المايونيز، ونظرت الى أعلى على فمها وشعرت أيضا أننى ليست لدى الآن رغبة فى تقبيله.

إننى فى هذا المساء لم أساعد بيرتا فى إدخال السيارة فى الجراج ولم أساعدها أيضا فى التنظيف، أخذت كوبًا كبيرًا من الكونياك وذهبت عاليًا إلى حجرة مكتبى وجلست على المكتب الذى كان ضخمًا جدًا بالنسبة لى وأخذت أسترجع التفكير فى شىء ما، ثم نهضت وذهبت إلى حجرة النوم ونظرت إلى التمثال الباروكى للسيدة

العذراء ولكن هناك أيضًا طرأ على بالى ما كنت أسترجع التفكير فيه؛ بحثت عن بيت من الشعر كنت قد سمعته فى مكان ما وقد يكون أيضًا جزءًا من صلوات، غير أننى لم أعد أتردد على الكنيسة منذ عشر سنوات ولم أعد أصلى، ورجعت إلى سنوات الماضى تمامًا مثلمًا يهرب المرء فى مسكنه الخاص من حجرة إلى حجرة خوفًا من تهديد مسدس القاتل.

وهنا قطع جرس التليفون حبل أفكارى، ورفعت السماعة ولم أندهش لسماع صوت تسومين الذى قال: "إن زوجتك ارتكبت سهوًا خطأ بسيطًا؛ لقد رفعت سعر المتر ليس بمقدار خمسة عشر ولكن بمقدار خمسة وعشرين بفينيجًا".

وفكرت للحظة ثم قلت: "إنه ليس خطأ، لقد حدث ذلك بموافقتى".

لزم الصمت فى البداية ثم قال مبتسمًا: ألم تكن قد تحدثت قبل ذلك بإسهاب عن الإمكانيات المختلفة؟

قلت أنا "نعم"، فقال: حسنًا، حرر إذن شيكًا آخر بمبلغ ألف.

فقلت: "خمسمائة" وفكرت بأن ذلك كما يحدث تمامًا فى الروايات الرخيصة.

قال هو: ثمانمائة، وقلت أنا مبتسمًا: "ستمائة" وأدركت على الرغم من أننى لم يكن لدى أية خبرة أنه ربما يريد القول الآن سبعمائة وخمسين، وعندما قالها حقيقة قلت له نعم وأنهيت الاتصال.

لم يكن الوقت منتصف الليل عندما نزلت السلم وأحضرت الشيك إلى تسومين عند السيارة وابتسم عندما ناولته الشيك المطبّق.

ملَّسْتُ على الذئبة فوق المبرد؛ لم تعد تتدلى أيه قطرات عند ثدييها، فلقد جفَّفتها رياح الليل الدافئة، وعندما انصرف تسومين بسيارته ورجعت أنا ببطء إلى المنزل لم يكن يظهر من بيرتا شىء يُرى؛ ولم تأت عندما جلست فى حجرة المكتب أواصل استرجاع التفكير، ولم تأت عندما نزلت مرة أخرى لكى أحضر لنفسى قطعة تورتة صغيرة وكوبًا من اللبن من الثلاجة ولم أعرف فيما فكرت هى؛ لقد فكرت: "لابد أنه قد تخطى الحدث ولابد لى أن أتركه مع نفسه! لابد له أن يعى ذلك". غير أننى لم أستوعب ذلك أبدًا وكان الحدث كذلك لا يمكن استيعابه.

ساعة المطبخ

فولفجانج بورشيرت

شاهدوه من بعيد وهو قادم نحوهم، فقد كان غريب المنظر والعجز قد كسا وجهه تمامًا، غير أن طريقة مشيته تجعل من يراه يقول إنه فى سن العشرين ليس إلا. جلس على الأريكة متجهًا بوجهه العجوز إليهم وراح يعرض عليهم هذا الشىء الذى يحمله فى يده وهو يقول: "كانت هذه ساعة مطبخنا" بينما أخذ يحملق فى جميع الجالسين على الأريكة تحت الشمس الواحد تلو الآخر، "أجل، لقد وجدتها وهى آخر ما تبقى لى، لقد كان ممسكًا بساعة مطبخ على شكل طبق أبيض مستدير رافعًا إياها إلى الأمام وراح يتحسس بإصبعه أرقامها المدهونة باللون الأزرق، وأخذ يعبر عن أسفه معتقدًا بأنها لم يعد لها أية قيمة ويقول: "إننى أعرف أيضًا ذلك، فهى ليست بذات الجمال المميز، إنها أشبه بطبق وكل ما هناك أنه مطلى باللون الأبيض، إلا أننى أرى أن الأرقام الزرقاء تبدو حقًا جميلةً للغاية، كما أن عقاربها من الصفيح ولم تعد تدور الآن أيضا. لا. إنها داخليًا محطمة وهذا هو الواقع ولكنها ظاهريًا تبدو على ما كانت عليه دائما، على الرغم من أنها الآن لم تعد تدور.

راح يتلمس بأطراف أصابعه حافة الساعة بحركة دائرية مرتجفة وقال بصوت منخفض: "وها هى لا تزال باقية"، أما الجالسون على الأريكة تحت الشمس فلم يعيروه أى انتباه وأخذ أحدهم ينظر إلى حذائه بينما راحت سيدة توجه أنظارها إلى عربة أطفالها ثم قال آخر: "لا شك أنك فقدت كل شيء؟"

فأجاب على الفور قائلاً: "أجل، أجل، ولكن هل تتصور أننى فقدت حقًا كل شيء! إنها هى فقط، لا تزال متبقية"، ثم أخذ من جديد يرفع الساعة إلى أعلى إحساسا منه وكأن الآخرين لم يتعرفوا عليها من قبل.

وهنا قالت سيدة: ولكنها بالتأكيد لم تعد تدور.

لا، لا ليست كذلك إنها مجرد معطلة وهذا ما أعرفه جيدًا، وما عدا ذلك فإنها كاملة الأجزاء تماما كما كانت دائمًا: بيضاء وزرقاء، وأخذ من جديد يعرض عليهم ساعته، ثم استطرد فى انفعال قائلاً: إننى لم أحك على الإطلاق كل شيء لكم، وأروع ما فى الأمر سيأتى حديثى عنه، هل تتصورون أنها توقفت عند الثانية والنصف، نعم الثانية والنصف بالذات، تصوروا ذلك!.

وأخذ أحد الرجال يمد شفته السفلى إلى الأمام بعصبية قائلاً: إذن فلقد أصيب منزلك بالتأكيد فى تمام الساعة الثانية والنصف، لقد

سمعت ذلك كثيرًا، فعندما تسقط القنابل تتوقف الساعات بفعل الضغط.

وهنا أخذ الرجل يحملق فى ساعته ويهز رأسه غارقًا فى التفكير قائلاً: "لا يا سيدى الفاضل، أنت مخطئ فى ذلك. إن الأمر ليس له علاقة بالقنابل، ثم إنه لا يصح أن نتحدث دائما عن القنابل. لا، ففى الثانية والنصف حدث ثمة شىء مختلف تمامًا، وهو ما لا تعرفه ببساطة، وهذا هو السر فى أنها توقفت بالذات فى الثانية والنصف وليس فى الرابعة والربع أو فى السابعة. لقد تعودت على الرجوع إلى المنزل فى الثانية والنصف وهذه هى الدعابة فى الموضوع"، ونظر الرجل إلى الآخرين ولكنهم كانوا قد رفعوا أنظارهم عنه، فلم يشعر بوجودهم فأخذ يهمس إلى ساعته قائلاً: "وفى ذلك الوقت كان الجوع ينتابنى بطبيعة الحال، أليس كذلك؟، كنت أتوجه على الفور إلى المطبخ وكان ذلك فى الثانية والنصف تمامًا وبعد ذلك... وبعد ذلك حضرت والدتى طبعًا وكنت فى كل مرة أحاول جاهدًا فتح الباب دون إحداث أدنى ضوضاء ولكنها كانت تسمعنى دائما وعندما كنت أبحث فى المطبخ عن شىء آكله فإذا بالمطبخ يضاء فجأة ثم أجدها واقفة أمامى فى سترتها الصوفية وشالها الأحمر تقف حافية القدمين، وفى كل مرة حافية القدمين مع أن أرضية مطبخنا مغطاة بالبلاط، كانت والدتى تطبق عينيها من شدة الإضاءة فلقد كانت بالطبع قبل ذلك غارقة فى نومها وكان الوقت ليلاً

وكانت تقول: "دائما فى هذا الوقت المتأخر" ثم لا تنطق بأى عبارة أخرى سوى "دائما فى هذا الوقت المتأخر" وسرعان ما تقوم بتسخين طعام العشاء لى وتنتظر تراقبنى وأنا آكل بينما كانت دائمًا تحك قدميها بعضها ببعض حيث كان البلاط شديد البرودة ولم تكن تعتاد على ارتداء أى حذاء بالليل. كانت تجلس بجوارى طويلاً إلى أن أشبع، كما كنت أسمعها وهى ترفع الأطباق فى الوقت الذى أكون أنا قد أطفأت نور حجرتى. كان ذلك يتكرر كل ليلة وغالبًا ما يكون دائمًا فى الثانية والنصف. وهذا أمر بديهى للغاية فى أن يتكرر ذلك دائمًا ولم تكن تردد سوى عبارة "دائمًا فى هذا الوقت المتأخر" كانت تقول ذلك كل مرة واعتقدت فى أن ذلك لا يمكن أن ينتهى فهو أمر بديهى للغاية، كل ذلك كان يحدث بشكل متكرر.

لقد كان الهدوء التام يسود الجالسين على الأريكة، قال بصوت منخفض: "والآن، ثم راح يمعن النظر فى الآخرين ولكنه لم يشعر بهم فأخذ يهمس إلى ساعته ويتحسس وجهها الأبيض والأزرق المستدير ويقول: والآن، إننى أعى الآن أن ذلك الوقت كان مثل الجنة، الجنة الحقيقية.

كان الهدوء يخيم على الأريكة ومن عليها، وهنا سألت سيدة: وعائلتك؟، فابتسم فى حيرة وقال: آه! إنك تعنين والدى، لقد اختفيا هما أيضًا من الوجود، كل شىء راح، تصورى أن كل شىء قد راح. وفى ابتسامة مضطربة أخذ يتنقل بنظره من شخص إلى آخر

غير أنهم لم يعيروه أى انتباه، وهنا رفع الساعة إلى أعلى وضحك، وأخذ يضحك قائلاً: يكفى أنها فى حوزتى هنا، إنها كل ما تبقى لى وإن أجمل ما فيها أنها توقفت على وجه الخصوص عند الثانية والنصف وبالذات فى الثانية والنصف. ولم ينطق بعدها بحرف واحد، لقد كان وجهه يعلوه العجز التام. أما الرجل الذى كان يجلس إلى جواره فلقد أخذ ينظر إلى حذائه، وفى الحقيقة أنه لم يكن ينظر إلى حذائه بل كان يفكر دائما فى كلمة "الجنة".

الثلج الكثير الكثير

فولفجانج بورشيرت

كان الثلج يتدلى من فوق أفرع الأشجار، وكان الرابض خلف المدفع الرشاش يُغنى حيث كان يقف فى غابة روسية فى موقع متقدم تماما فى الجبهة، كان يردد أغانى أعياد الميلاد رغم أن الوقت كان بداية شهر فبراير، ولكن خطر ذلك بالبال لأن الثلج كان قد بلغ ارتفاع المتر. كان الثلج بين جذوع الأشجار السوداء، كان الثلج فوق الأفرع الخضراء الداكنة للأشجار. بقى الثلج متدليًا من فوق أفرع الأشجار، يترنح فوق الشجيرات الصغيرة رخوًا كالقطن عالقًا بجذوع الأشجار السوداء، ثلج كثير وكثير، وكان مدفعجى المدفع الرشاش يردد أغانى أعياد الميلاد على الرغم من أن الوقت كان فى شهر فبراير، كُنتَ تضطر بين الحين والآخر إلى إطلاق بضع طلقات وإلا فإن المدفع يرتعش بردًا، تخرج الطلقات إلى الأمام ببساطة دون تصويب على هدف معين، كى لا يرتعش المرء من البرد، يصوب المرء الطلقات على الشجيرات هناك، نعم عليها هناك كى تعرف على الفور أن أحدًا لا يختبئ فيها.

إن ذلك يبعث السكينة وإلا فإن كل شيء يرتعش بردًا، كما أن الهدوء الشديد لن يسود أيضًا إذا لم يطلق المرء بعض الطلقات بين الحين والآخر. كان قد أوصى بذلك من حل محله فى النوبتجية ، كما قال أيضا: يجب عليك أن تزيح واقى الرأس بعيدا عن أذنيك كى تصل إلى أسماعك أوامر الكتيبة. يجب على المرء الرابض فى الموقع أن يزيح غطاء الرأس بعيدًا عن الأذنين. وإلا فإن المرء لن يسمع بالقطع شيئًا، إن هذا بمثابة أوامر، غير أن المرء لا يسمع على أية حال شيئًا. إن كل شيء هادئ، لا تسمع أية أصوات، غير أن المرء رغمًا عن ذلك يخرج طلقات بين الحين والآخر ففى ذلك راحة للبال.

كان قد قال ذلك وكان يقف وحيدًا، أزاح غطاء الرأس عن الأذنين وتسللت البرودة من أطراف أصابعه إليها، كان يقف وحيدًا، وكان الثلج يتدلى عالقا بأفرع الأشجار، كان يلتصق بالجذوع السوداء للأشجار، وكان يتراكم فوق الشجيرات الشيطانية، يتراكم، يذوب متساقطًا على شكل قطرات تترنح متساقطة فى ثقوب فى الأرض، ثلج كثير وكثير.

والثلج الذى كان يقف عليه ينذر بالخطر فى هدوء شديد. بعيد للغاية ويمكن أن يكون الخطر قريبا فعلاً منه ولكنه يسكت عنه. والثلج الذى يقف عليه، يقف عليه وحيدًا فى الليل، وحيدًا ولأول مرة، كان يجعل قرب الآخرين له خافتًا تمامًا، كان يجعله بعيدًا للغاية، كان

يتكتمه لأنه كان يجعل كل شيء خافتا تمامًا لدرجة أن دم المرء قد تدفق إلى الأذنين بشكل عالٍ، عالٍ جدا لدرجة أن المرء لم يعد فى استطاعته عدم المبالاة بذلك. وهكذا صمت الثلج ثم سمعت تنهدات، يسارًا وفى الأمام، ثم يمينًا وجاءت تنهدات من جهة اليمين ثانية ومن أسفل فجأة وحبس مدفعجى المدفع الرشاش أنفاسه وتكرر ثانية سماع التنهدات. لقد أصبح الطنين فى أذنيه كبيرًا جدًا، ثم تكرر سماع التنهدات. وبقوة فتح ياقة المعطف. لقد تشنجت الأصابع، ارتعشت وشدَّ ياقة المعطف ليفتحها حتى إنها غطت الأذن، وهنا تكرر سماع التنهدات. العرق قد خرج باردًا من أسفل الخوذة وتجمّد على الجبين، تجمَّد عليها. لقد كانت درجة البرودة اثنين وأربعين درجة. خرج العرق من أسفل الخوذة وتجمَّد. لأن هناك من كان يتنهد، شيء أو شخص ما. وصمت الثلج، ومن الثلج ما تجمد على الجبين. لأن الخوف كان رهيبا يطن فى الأذنين لأنه كانت تسمع تنهدات، ثم أخذ يُغنى بصوت عال حتى إنه لم يَعُد يسمع الخوف، ولم يعد يسمع التنهدات وأن العرق لم يعد يتجمد. لقد أخذ يُغنى ولم يسمع الخوف. كان يُغنى أغانى أعياد الميلاد ولم يعد يسمع التنهدات. كان يغنى بصوت عال أغانى أعياد الميلاد فى الغابة الروسية. لأن الثلج كان معلقا بأفرع الشجر الزرقاء الداكنة فى الغابة السوداء. ثلج كثير غير أن فرعا قد انكسر بعد ذلك فجأة وصمت مدفعجى المدفع الرشاش،

أخذ يحوم حول نفسه وانتزع المسدس من غمده وهنا أتى الجاويش من بين الثلوج مرددًا عبارات قوية وهو يتجه إليه.

وفكر مدفعجى المدفع الرشاش: "سأموت الآن رميًا بالرصاص. لقد غنيت وأنا فى الموقع والآن سأموت بإطلاق الرصاص على. ها هو الجاويش قد حضر فعلا. وكيف يخطو مسرعًا لقد غنيت فى الموقع وسيحضرون الآن ويرمونى بالرصاص.

وأحكم القبض بيده على المسدس.

وكان الجاويش قد حضر وأمسك به وأخذ يلتفت حوله وأحكم الإمساك به، ثم أخذ يسعل. ياإلهى. أمسك بى بشدة يا رجل. يا إلهى! يا إلهى! ثم أخذ يضحك وبرزت أوردته الدموية فى مفاصل يديه وهو يرتعش ولكنه عاود الضحك. أيسمع المرء فعلا أغانى أعياد الميلاد. أغانى أعياد الميلاد فى هذه الغابة الروسية الملعونة، أغانى أعياد الميلاد، ألسنا فى شهر فبراير؟ إننا فعلاً فى فبراير، وخلاله يسمع المرء أغانى أعياد الميلاد، يأتى من هذا الهدوء المخيف أغانى أعياد الميلاد! يا إلهى مرة أخرى! أمسك بى بشدة. والزم الهدوء فعلاً. هنا! لا. الآن تختفى. وقال الجاويش: لا تضحك. وأخذ يسعل مرة أخرى وأمسك المدفعجى بشدة، لا تضحك أنت. غير أن هذا الإحساس يأتى بسبب الهدوء. هذا الهدوء لأسابيع طوال، لا أصوات

تتعالى! لا شيء! ولكن كيف يسمع المرء بعد ذلك أغانى أعياد الميلاد، رغم أننا نعيش فعلا شهر فبراير منذ أيام طوال، غير أن ذلك يؤدى إلى الجنون. إنه لم يمر على بقائك هنا سوى يومين بينما نحن نتواجد هنا فى هذا المكان منذ أسابيع طوال. لا تواجد أية أصوات عالية، لاشيء. إن ذلك يسبب الجنون. الهدوء يسود كل شيء بشكل دائم، لا أصوات عالية. منذ أسابيع طوال. ثم يسمع المرء تدريجيا أغانى أعياد الميلاد بالله عليك لاتضحك، إننى بمجرد أن رأيتك اختفت الأغانى فجأة يا إلهى. إن ذلك يسبب الجنون، هذا الهدوء الأبدى، هذا الأبدى!

لا يزال الجاويش يسعل ويضحك ويحكم الإمساك به ويعاود المدفعجى الإمساك به بشدة. ثم أخذ كلاهما يضحكان. فى الغابة الروسية. فى فبراير.

أحيانا ما كان فرع يتقوس بسبب الثلج وينزلق بعد ذلك إلى الأرض بين الأفرع الزرقاء الداكنة ويُسمع تنهدات مع ذلك. صوت منخفض تماما، فى المواجهة، جهة اليسار. ثم هنا وهناك أيضا. تسمع تنهدات فى كل مكان لأن الثلج يتدلى عالقا بأفرع الأشجار، الثلج الكثير الكثير.

الملوك الثلاثة المُظلمون

فولفجانج بورشيرت

كان يشق طريقة كالأعمى داخل الضاحية المظلمة وكانت المنازل المدمرة تتعالى فى مواجهة السماء والقمر قد غاب، وكان بلاط الشارع ينزعج من وقع خطاه المتأخرة، وهنا وجد لوحا خشبيًا سميكًا متهالكًا فخطا بقدمه عليه حتى تهدمت قطعة منه وانسلخت عنه. لقد كان الخشب يُعطى رائحة الهشاشة الحلوة ورجع الزوج متحسسا طريقه داخل الضاحية المظلمة وكانت النجوم غائبة.

وعندما هم بفتح الباب "أخذ الباب فى البكاء" قابلته ناظرة إليه عينا زوجته الزرقاوان الباهتتان وهما تبزغان من وجه منهك، وكان زفيرها يتعالى أبيض اللون داخل الحجرة، حيث كان الطقس باردًا للغاية لقد ثنى الرجل ركبته الكثيرة العظام وكسر الخشب وتنهد الخشب وهنا فاحت رائحة هشاشته الحلوة فى جميع الأرجاء وأمسك بقطعة منه ومر بها أسفل أنفه وضحك بصوت منخفض وطلبت أعين الزوجة منه ألا يضحك لأن الطفل نائم، لقد ألقى الرجل بقطعة الخشب الهشة الحلوة فى الفرن الصفيح الصغير فبدأ فى الاشتعال ببطء وبعثت بحفنة من ضوء دافئ إلى أرجاء الحجرة سقطت بضوئها الساطع على وجه صغير مستدير وبقيت للحظة. إن هذا

الوجه لم يكن عمره سوى ساعة واحدة إلا أنه كان يمتلك فعلا كل المقومات: أذنين وأنفًا وفمًا وعينين. لقد استطاع المرء أن يرى أن العينين لابد أن تكونا كبيرتين على الرغم من أنهما كانتا مقفلتين فى حين كان الفم مفتوحًا ويخرج منه نفس هادئ، كما كانت أنفه وعيناه محمرَّة وظنَّت الأم أنه على قيد الحياة فلقد كان الوجه الصغير ناعسًا.

أفاد الزوج بوجود قطعة من الشوفان متبقية واستجابت الزوجة قائلة بأن هذا أمر طيب والطقس بارد. تناول الزوج قطعة أخرى من الخشب الهش الحلو وهنا احتضنت هى طفلها واعتقد هو أنها ترتعش بالقطع من البرد، غير أنه لم يجد أحدًا يمكنه أن يلطمه على وجهه براحتيه. وعندما فتح باب الفرن سقطت ثانية حفنة ضوء على الوجه الناعس وقالت الزوجة بصوت منخفض: انظر إنه مثل هالة قديس، ألا ترى ذلك؟ وفكر هو، هالة قديس! ولم يجد أحدًا يستطيع هو أن يلطمه براحتيه على الوجه.

كان هناك بعض الناس يقفون عند الباب وقالوا: "لقد رأينا ضوءًا ينبعث من النافذة، نريد أن نجلس هنا عشر دقائق" غير أن الزوج قال لهم بأن لديه طفلا ولكنهم لم يقولوا شيئًا ودخلوا الحجرة رغم ذلك وهم يطردون بخارًا كثيفًا من أنوفهم ويرفعون أقدامهم عاليًا ثم انبعث ضوء عليهم.

لقد كانوا ثلاثة يرتدون ثلاثة أزياء رسمية بالية، كان بيد أحدهم صندوق من الكرتون ويحمل الآخر جوالاً بينما كان الثالث بلا يدين حيث قال: "إننى أرتعش من البرد" ثم رفع ذراعيه المقطوعتين عاليًا وأدار ناحية الزوج جيب المعطف حيث كان به تبغ وورق سجائر رقيق وأخذا يلفان السجائر بينما قالت الزوجة: "لا. الطفل".

حينئذ خرج الأربعة أمام الباب وكانت سجائرهم من أربع نقاط مضيئة فى الليل، كان لأحدهم قدمان مربوطتان غليظتان، أخرج قطعة خشب من الجوال وقال: "إنه حمار، لقد مكثت أنحته طيلة سبعة أشهر ثم قال "إنه للطفل" وأعطاه للزوج الذى سأله عما حدث لقدميه فقال ناحت الحمار إن ذلك بسبب المياه والجوع، وبينما كان يتحسس الحمار فى الظلام سأل الزوج عن الرجل الآخر الثالث الذى كان يرتعش فى زيه الرسمى حيث رد فى صوت منخفض "لا شىء، إنها الأعصاب فقط، لقد عشنا حقًا خوفًا كثيرًا جدًا"، ثم أطفأوا السجائر تحت أقدامهم ودخلوا الحجرة ثانيةً.

لقد رفعوا أرجلهم عاليا وألقوا بنظرهم على الوجه الناعس الصغير، أخرج الرجل المرتعش من الصندوق الكرتون قطعتين من البونبون الأصفر وقال: "إنهما للزوجة".

لقد فتحت الزوجة عينيها الزرقاوين الشاحبتين عن آخرهما عندما رأت الثلاثة المظلمين منحنين على الطفل، لقد أبدت مخاوفها

غير أن الطفل مدَّ ساقيه فى اتجاه صدورهم وصرخ بقوة لدرجة أن الثلاثة المظلمين رفعوا أقدامهم وتسللوا فى اتجاه الباب وهنا أومأوا برءوسهم مرة أخرى وركبوا جنح الليل.

لقد تابعهم بنظراته وتحدث إلى زوجته قائلاً: "إنهم قديسون من نوع خاص"، ثم أغلق الباب وهمهم وهو ينظر إلى قطعة الشوفان قائلاً: "قديسون على غير ما يتصوره المرء" ولكنه لم يكن لديه وجه لراحتيه.

همست الزوجة فى حين صرخ الطفل لقد صرخ بقوة شديدة وهنا انصرف الرجال وقالت الزوجة بفخر انظروا كم يبدو الطفل حيويًا. لقد فتح الوجه الصغير فمه بشدة وصرخ وسأل الزوج: "هل يبكى؟" وردت عليه الزوجة: "لا. أعتقد أنه يضحك".

وقال الرجل وهو يشم الخشب كما يشم الكعك، حلوة تمامًا، قالت الزوجة: "إن اليوم يوافق أيضا أعياد الميلاد". وتمتم هو قائلاً نعم أعياد الميلاد، وهنا سقطت من الفرن حفنة ضوء ناصع على الوجه الناعس الصغير.

الفئران تنام قطعًا بالليل

فولفجانج بورشيرت

فى الجدار الموحش تثاءبت النافذة المهجورة بادية حمراء اللون المائل للزرقة حيث تملؤها شمس الأصيل المبكرة كما كانت سحب التراب تتلألأ بين بقايا المداخن المتدنية وانتاب النعاس صحراء الخراب.

كان قد أغمض عينيه وأصبحت الدنيا أكثر ظلامًا مرةً واحدة ولاحظ هو أن أحدًا كان قد جاء ووقف أمامه الآن فى هدوء وغير وضوح، واعتقد أنهم قد عثروا عليه الآن ولكنه عندما أغمض عينيه مدققًا شاهد مجرد ساقين فى سروال بال بعض الشيء وقفتا شبه معوجتين إلى درجة أنه استطاع أن ينفذ ببصره من بينهما، وخاطر بإلقاء نظرة خاطفة إلى أعلى فى اتجاه الساقين ذات السروال فتبين له وجود رجل عجوز، كان يمسك فى يده سكينا وسلة وكان على أطراف أصابعه بعض الطين.

وسأل الرجل وهو ينظر من أعلى إلى أسفل على صاحب الشعر المنكوش قائلاً: أتستمتع بالنوم هنا، أليس كذلك؟ فرد يورجين وهو ينظر إلى الشمس من بين ساقى الرجل قائلا: لا إننى لا أنام،

إننى لابد أن أقوم بالحراسة هنا" فأومأ الرجل برأسه وقال: "حسنا، لذلك فإنك تحمل تلك العصا الغليظة هنا؟" وأجاب يورجن فى شجاعة بنعم وهو يحكم القبض على العصا.

وماذا تحرس إذن؟

إنه شىء لا أستطيع أن أقوله وأخذ يشدد القبض بيديه على العصا.

حسنًا تحرس نقودًا، أليس كذلك؟

وهنا أنزل الرجل السلة إلى أسفل وأخذ يمسح السكين فى مقعدة سرواله فى حركة دائمة.

وقال يورجن فى ازدراء: لا، لا أحرس نقودًا على الإطلاق إننى أحرس شيئًا آخر تمامًا.

إذن فما هو؟

إننى لا أستطيع الإفصاح عنه، إنه شىء آخر حقًا.

إذن فلا تقل شيئًا، كما أننى لم أقل لك بالتالى ماذا أحمل هنا فى السلة ثم خبط الرجل السلة بقدمه وطوى المطواة وقفلها.

ورد يورجن فى عدم مبالاة قائلاً: إنها ليست بمشكلة، إننى أستطيع أن أخمن ما يكون فى السلة، إنه طعام للأرانب، فقال الرجل فى دهشة، يا إلهى، حقا، إنك حقيقة غلام ذكى. كم عمرك إذن؟

تسع سنوات.

نعم، عظيم، تسعة، إذن فإنك تعرف حقًا أيضًا كيف وكم تساوى ٣ فى ٩، "بالطبع" قال يورجن، ولكى يكسب وقتًا قال أيضًا: "إنها مسألة بسيطة للغاية" ثم نظر من خلال ساقى الرجل واستفسر مرة أخرى قائلاً ٣ فى ٩ أليس كذلك؟ يكون الناتج ٢٧ إننى أعرف ذلك على وجه السرعة.

وقال الرجل: بالضبط، إننى لدى أرانب، تمامًا بمثل هذا العدد، وكَوَّر يورجن فمه متسائلاً فى دهشة: سبعة وعشرون؟ فى استطاعتك رؤيتها، كثيرها لا يزال صغيرًا جدًا، أتحب رؤيتها؟.. وقال يورجن مترددًا: إننى لا أستطيع إطلاقًا، حيث لابد أن أقوم بالحراسة.

واستفسر الرجل قائلاً: دائما بلا انقطاع؟ حتى ليلاً.

ليلاً أيضًا، دائمًا دون انقطاع، دائمًا.

رفع يورجن بصره إلى الساقين المعوجتين وهمس قائلاً: منذ يوم السبت بالتحديد.

ولكنك، ألا تذهب أبدًا إلى منزلك، غير أنك لابد أن تأكل.

وهنا رفع يورجن حجرًا إلى أعلى فظهر نصف رغيف وعلبة صفيح تحته.

سأل الرجل: أتدخن؟ ألديك إذن غليون.

أمسك يورجن عصاه بقوة وقال: إننى ألف التبغ، لا أحب الغليون.

وانحنى الرجل على سلته وقال: خسارة، لقد كان بإمكانك فى هدوء إلقاء نظرة على الأرانب وخصوصًا الصغار وربما اخترت لنفسك واحدًا منها غير أنك لاتستطيع حقًا ترك المكان هنا.

ورد يورجن فى حزن. لا، لا، لا.

وهنا أخذ الرجل السلة ونهض قائلاً: "على أية حال، يا للخسارة طالما أنت مضطر إلى البقاء هنا" ثم التف إلى الخلف للانصراف.

وهنا قال يورجن متعجلاً، إذا كنت تكشف سرى، فإننى هنا بسبب الفئران.

وارتدت الساقان المعوجتان خطوة إلى الخلف: بسبب الفئران؟ نعم، إنها قطعًا تتغذى على الأموات من البشر، إنها تعيش عليها بالقطع.

من قال ذلك؟

مُدرسُنا.

وسأل الرجل: وأنت الآن تحرس الفئران؟

"غير أننى لا أحرسها هى" ثم قال بعد ذلك بصوت منخفض تمامًا: إن شقيقى يرقد هناك فى الأسفل، هناك وأخذ يورجن يشير بالعصا إلى الجدران المهدَّمة، بينما أصابته قنبلة واختفى النور على الفور فى البدروم واختفى هو أيضًا وأخذنا ننادى عليه، كان يصغرنى بكثير، عمره أربع سنوات ليس إلا، لابد أنه لا يزال هنا، غير أنه كان أصغر منى بكثير.

أخذ الرجل ينظر من أعلى على صاحب الشعر المنكوش، غير أنه قال بعد ذلك فجأة، حسنا ولكن ألم يقل مدرسكم إن الفئران تنام ليلاً؟ وهمس يورجن وقد بدا عليه الإرهاق التام، قائلاً: لا، لم يقل ذلك، فقال الرجل حسنًا ولكن كيف يكون مدرسًا إذا لم يكن يعرف ذلك، إن الفئران تنام ليلاً بالقطع، إنك يمكنك أن تهدأ بالاً وتذهب إلى منزلك إنها تنام دائما بالليل، عندما يحل الظلام فعلاً.

أخذ يورجن يحفر بعصاه حفرًا فى ردم الأنقاض وفكر هو فى أن جميعها أسرَّة صغيرة، كلها أسرَّة صغيرة.

وهنا قال الرجل – وكانت ساقاه المعوجتان تهتزان فى قلق تام – ما رأيك أننى سأُطعم أرانبى الآن على وجه السرعة وعندما يحل الظلام سآتى لآخذك معى وقد أتمكن من إحضار أحدها، أرنب صغير أو ما رأيك؟

يورجن يستمر فى عمل حفر صغيرة فى ردم الأنقاض، جميعها أرانب صغيرة، بيضاء، رمادية، وقال بصوت منخفض وهو ينظر إلى الساقين المعوجتين: إننى لا أدرى عندما ينامون حقًا ليلاً؟

صعد الرجل إلى أعلى بقايا الجدران وانصرف إلى الشارع وقال من على بعد: ينبغى على مدرسكم أن يرحل إن لم يكن يعرف ذلك.

وهنا نهض يورجن وقال: "ليتنى أستطيع الحصول على واحد منها وربما أرنب أبيض اللون".

وينادى الرجل وهو ينصرف فعلاً: إننى سأحاول ولكنك لابد أن تنتظر هنا طويلاً، سأذهب معك إلى المنزل. حسنًا؟ غير أننى لابد أن أقول لوالدك كيف يتم بناء حظيرة أرانب لأنه يلزمكم حقًا أن تعرفوا ذلك.

وينادى يورجن: حسنًا سأنتظر، لابد أن أستمر فى الحراسة حتى يحل الظلام، سأنتظر بالتأكيد وأخذ ينادى: عندنا أيضًا ألواح خشبية بالبيت، ألواح صناديق خشبية. غير أن الرجل لم يعد يسمع ذلك وانصرف مسرعًا بساقيه المعوجتين فى مواجهة الشمس التى احمرت فعلاً باقتراب المساء واستطاع يورجن أن يرى كيف كانت تظهر من بين الساقين، لقد كانتا معوجتين إلى حد كبير وكانت السلة تتأرجح فى انفعال هنا وهناك.

كان بداخلها طعام أرانب، طعام الأرانب أخضر اللون، كاد يميل إلى اللون الرمادى بسبب ردم الأنقاض.

الخبز

فولفجانج بورشيرت

استيقظتْ فجأة وكانت الساعة الثانية والنصف وأخذت تفكر فى سبب أنها استيقظت، ثم تذكرت أنه فى المطبخ كان أحد قد اصطدم بكرسى. أخذت تتنصت فى اتجاه المطبخ فكان الهدوء سائدًا، هدوء تام للغاية وعندما تحسست بيدها فوق السرير إلى جوارها وجدته خاليًا وكان السبب فى جعل الهدوء يسود بنوع الخصوص هو أن أنفاسه قد اختفت، فنهضت وأخذت تتخبط فى مشيتها داخل الشقة فى اتجاه المطبخ، وهناك فى المطبخ تلاقيا وكانت الساعة الثانية والنصف، لقد رأت شيئًا أبيض اللون عند دولاب المطبخ، أضاءت النور. كانا قد وقفا بقميصى النوم يواجه كل منهما الآخر، ليلاً فى الساعة الثانية والنصف فى المطبخ.

فوق منضدة المطبخ كان يوجد طبق الخبز. لاحظت أنه كان قد قطع لنفسه خبزًا وكانت السكين لا تزال إلى جوار الطبق وكان على المفرش فتات من الخبز، لقد تعودت تنظيف مفرش المنضدة كلما كانا يتأهبان إلى الفراش، كل مساء، يرى أنه الآن كان يوجد

فتات خبز على المفرش وكانت السكين عليه. لقد شعرت ببرودة البلاط تزحف إليها عاليا وببطء وصرفت أنظارها عن الطبق.

قال هو بينما ينظر حوله فى المطبخ "ظننت أن هنا ربما ثمة شيء ما".

فأجابت "سمعت أنا أيضا شيئا ما" وهنا اكتشفت أنه كان فعلاً يبدو عجوزا وهو بالليل فى قميص النوم، عجوز كما كان فعلاً، ثلاثة وستون عاما، على مدار النهار كان يبدو أحيانا أصغر سنًا.

وفكر هو: إنها تبدو فعلاً عجوزا، فى قميص النوم تبدو فعلاً وكأنها عجوز، ولكن ربما كان شعرها هو السبب حيث إن الشعر يتسبب فى جعل النساء تبدو ليلاً أكبر سنًا ثم يجعل المرء عجوزًا تماما مرة واحدة.

"كان ينبغى عليك أن تلبس حذاء، حافى القدمين هكذا فوق البلاط البارد، ستصاب بالبرد أيضًا".

لم تدقق النظر فيه لأنها لم تستطيع تحمل أن يكذب، أن يكذب بعد مرور تسعة وثلاثين عامًا على زواجهما.

"ظننت أنه قد يكون ثمة شيء ما" قال ذلك مرة أخرى وهو يعاود النظر من ركن إلى آخر دون داع على الإطلاق، "لقد سمعت شيئا ما، ظننت فعلاً أنه قد يكون ثمة شيء ما".

"لقد سمعت شيئًا أيضا، غير أنه لم يكن أى شىء على الإطلاق" ثم رفعت الطبق من فوق المنضدة وأخذت تزيح الفتات من فوق المفرش.

وكرَّر هو مُرددًا "لا، لم يكن ثمة شىء ما حقًا"

بدأت تسعفه قائلة: هيَّا، كان فعلاً ثمة شىء فى الخارج، هيَّا إلى الفراش، ستصاب بالبرد فوق البلاط البارد".

أخذ يتطلع إلى النافذة "حقًا، لابد أن هذا قد حدث بالخارج لقد ظننت أنه ربما حدث شىء ما هنا".

رفعت يدها فى اتجاه مفتاح النور وفكرت" حسنا، لابد أن أُطفئ النور الآن وإلا فإننى سأضطر إلى الاتجاه بنظرى إلى الطبق فى حين لا يصح لى أن أفعل ذلك. ثم قالت وهى تطفئ النور: "هيَّا، لقد كان ذلك بالخارج إن المزراب يصطدم دائمًا بالحائط عندما تكون هناك رياح. لقد كان المزراب بالتأكيد، فعندما تعصف الريح فإنه دائما يهتز".

أخذا كلاهما يتخبطان مسرعين عبر الممر المظلم إلى حجرة النوم وكانت أقدامهما الحافية تحدث لطمات على الأرض ورأى هو أنها الرياح حقًا "لقد كانت الريح تعصف طوال الليل بأكمله، لقد كان

المزراب بالتأكيد" "ظننت أن ذلك ربما كان فى المطبخ ولكن السبب كان المزراب".

ردد ذلك وهو يكاد يكون قد غلبه النوم، غير أنها لاحظت كيف كانت نغمة صوته غير صادقة عندما كان يكذب.

وقالت وهى تتثاءب بصوت منخفض "إن الطقس بارد، سأزحف تحت الغطاء، تصبح على خير".

أجاب "طابت ليلتك، إن البرد شىء جميل حقًا".

ثم ساد الهدوء، وبعد عدة دقائق سمعته يمضغ ببطء وحذر وتعمدت أن تتنفس بعمق وبشكل منتظم إذ لا ينبغى أن يلحظ أنها لاتزال مستيقظة، غير أن المضغ كان منتظمًا إلى حد أنها بسببه استغرقت فى النوم تدريجيًا.

وعندما عاد فى اليوم التالى إلى المنزل أزاحت إليه أربع شرائح خبز فى حين أنه كان فى العادة يأكل ثلاثا فقط.

قالت له وهى تبتعد عن المصباح "تستطيع أن تسعد بتناول أربع شرائح، إننى لم أعد أستطيع الاستمتاع بهذا النوع من الخبز فلتأكل واحدة زيادة، إننى لا أطيقه بشكل جيد تمامًا".

وهنا لاحظت كيف ينحنى كثيرًا فوق الطبق ولم ينظر إلى أعلى. وفى هذه اللحظة أخذت تشفق عليه.

فقال وهو منكبّ على الطبق "لا يمكنك أن تكتفى بتناول شريحتين".

بلى. إننى فى المساء لا أفضل كثيرًا هذا الخبز، هيا ! كُلْ ، كلْ!

ولم تجلس تحت المصباح عند المنضدة إلا بعد بُرهة.

دائرة طباشير أوجزبورج

بيرتولت بريشت

كان هناك خلال فترة حرب الثلاثين عاما سويسرى من البروتستانت يدعى تسينجلى، يمتلك مدبغة كبيرة ومتجرًا للجلود بمدينة الرايخ الحرة أوجزبورج الواقعة على نهر ليش وكان متزوجا بسيدة من أوجزبورج وله طفل منها، وعندما زحف الكاثوليك صوب المدينة نصحه أصدقاؤه بضرورة الهرب، غير أنه على أية حال لم يستطيع اتخاذ قراره بالرحيل فى الوقت المناسب، ربما لأن عائلته الصغيرة عاقته أو ربما لأنه لم يرغب فى التخلى عن مدبغته.

وهكذا ظل فى المدينة عندما اقتحمتها القوات القيصرية، وعندما حدثت عمليات النهب فى المساء أخفى نفسه فى حفرة بالفناء حيث تحفظ الأصباغ فيها وكان ينبغى على زوجته أن تنزح مع الطفل إلى أقاربها فى ضاحية للمدينة، غير أنها أخذت وقتا طويلا جدًا فى حزم حاجياتها من ملابس وحلى وأثاث وسرعان ما رأت فجاة من خلال نافذة بالطابق الأول مجموعة من جنود القيصر وهم يندفعون داخل الفناء، ودون أن تتمالك نفسها من شدة الفزع تركت كل شىء على ما هو عليه وولّت الأدبار من خلال باب خلفى إلى

خارج المنزل. وهكذا بقى الطفل بالمنزل حيث كان يرقد فى مهده بالمدخل الكبير، يلعب بكرة خشبية كانت معلقة من السقف بخيط.

لم يبق فى المنزل سوى خادمة شابة كانت تعبث فى المطبخ بالأوانى النحاسية حيث سمعت ضوضاءً تنبعث إليها من الشارع، وعندما اندفعت إلى النافذة رأت كيف كان الجنود يقذفون بكل أنواع الأشياء المنهوبة من الطابق الأول للمنزل المقابل للشارع. وعندما سمعت ضجيج اللطمات الشديدة على باب المنزل المصنوع من خشب البلوط أسرعت إلى المدخل وأرادت فعلاً أخذ الطفل من المهد فانتابها الارتباك وهرولت على السلم إلى أعلى.

امتلأ المدخل بالجنود السكارى الذين كانوا يحطمون كل شىء، فقد كانوا يدركون أنهم يوجدون فى منزل يمتلكه بروتستانتى، وكانت معجزة حقًا عندما ظلت "آنّا" الخادمة بعيدة عن الأنظار خلال عملية التنقيب والنهب، وعندما انسحبت فرقة الجنود وتسللت "آنا" إلى خارج الصندوق الذى كانت تقف بداخله وجدت الطفل أيضا فى المدخل دون مساس فضمته إليها فى لهفة وتسللت به خارجًا إلى الفناء، وكان الليل قد جُنَّ آنذاك إلا أن الضوء الأحمر الذى كان ينبعث من المنزل القريب المضىء قد أضاء الفناء حيث شاهدت والفزع ينتابها جثة رب البيت مشوهة تمامًا، فقد أخرجه الجنود من حفرته وأردوه قتيلا.

لم تفطن الخادمة إلا فى هذه الآونة لمدى الخطر الذى يهددها إذا تم القبض عليها فى الشارع ومعها طفل الرجل البروتستانتي، فأرجعته إلى المهد وقلبها يعتصر حزنًا، أعطته القليل من اللبن ليشربه وهزّت المهد بينما هو نائم ثم شقّت طريقها إلى الحى الذى كانت تسكن فيه شقيقتها المتزوجة، وقبيل العاشرة مساءً بقليل زجَّت نفسها وبصحبتها زوج شقيقتها بين معمعة الجنود المحتفلين بانتصارهم بهدف العثور على السيدة تسينجلى والدة الطفل فى الضواحى، وطرقوا باب منزل ضخم حيث انفتح بعد فترة ليست بوجيزة وهنا أطلَّ برأسه رجل عجوز صغير الحجم هو عم السيدة تسينجلى، فأخبرته "آنّا" وهى تلهث بأن السيد تسينجلى قد توفى، غير أن الطفل لا يزال فى المنزل دون مساس. نظر العجوز إليها فى برود بعينين بعيدتين عن الإحساس مثل عيون السمك وقال بأن ابنة شقيقه لم تَعُد توجد طرفه وأنه شخصيًا لا يهمه أمر الطفل البروتستانتى اللقيط فى شىء وراح بذلك يقفل الباب ثانية، وعند انصرافهما لاحظ صهر"آنّا" تحرك ستارة إحدى النوافذ مما جعله يقتنع بأن السيدة تسينجلى كانت بالداخل ويبدو أنها استحيت إنكار طفلها.

سارت "آنّا" فترة من الوقت إلى جوار صهرها وهما فى صمت ثم راحت تشرح له رغبتها فى العودة إلى المدبغة وإحضار الطفل، وأنصت الصهر لها فى فزع، وهو رجل هادئ النفس وحليم

وحاول إقناعها بالعدول عن الفكرة الخطيرة متسائلاً عما كانت عليه من علاقة مع هؤلاء الناس وكيف أنهم لم يعاملوها مرة واحدة بالحسنى.

استمعت "آنّا" إليه فى صمت ووعدته بألا تفعل شيئا لا يُقرّه العقل غير أنها أكدت رغبتها فى التوجه سريعًا إلى المدبغة وترى ما إذا كان الطفل ينقصه شىء وأنها تريد الذهاب بمفردها.

لقد حقّقت رغبتها حيث كان الطفل وسط الصالة المدمرة يرقد بهدوء فى مهده وينام، فجلست إلى جواره وهى متعبة وراحت تنظر إليه ولم تجرؤ على إضاءة أى نور غير أن المنزل المجاور كان لا يزال مضيئًا وتمكنت على هذا الضوء من أن تمعن النظر إلى الطفل جيدًا حيث كانت له على رقبته شامة صغيرة.

وبينما كانت الخادمة تُدقق النظر بعض الوقت، ربما لفترة ساعة وترى كيف كان الطفل يتنفس ويرضع فى راحة يده الصغيرة، أدركت أنها جلست فترة طويلة جدًا وشاهدته كثيرًا للغاية بحيث يكفى أن تتمكن من الانصراف بدون الطفل، ولكنها نهضت فى خمول وبحركات بطيئة ودثرت الطفل بملاءة من الكتان ثم رفعته على ذراعها وغادرت الفناء وهو بصحبتها، تختلس النظر من حولها خجلاً مثل شخص سيئ السريرة، كما لو كانت لصة.

وبعد أسبوعين من مشاورات طويلة مع الشقيقة والصهر أحضرت الطفل إلى الريف فى قرية جروس آيتنجن حيث كان شقيقها الأكبر فلاحًا هناك وكان الدوار ملك زوجته، وكل ما هناك أنه متزوج منها وكانت النية مبيَّتة على أنها قد ينبغى عليها أن تُفصح للشقيق فقط عن حقيقة الطفل لأنهما لم يلتقيا بعد وجها لوجه بالفلاحة الشابة ولم يعرفا بعد مدى تقبلها للضيف الصغير البالغ الخطورة.

وصلت آنّا إلى القرية قبيل الظهر وكان شقيقها وزوجته والأتباع يجلسون على مائدة الغذاء وتم استقبالها بطريقة ليست رديئة، غير أن أول نظرة على زوجة شقيقها الجديدة جعلتها تسارع فى تقديم الطفل على أنه ابنها. ولم تأنس الفلاحة ويصبح الطفل محل إعجاب إلا بعد أن حكت هى أن زوجها وجد عملا فى أحد المطاحن فى قرية نائية وأنه يترقب وصولها إلى هناك ومعها الطفل خلال بضعة أسابيع.

اصطحبت شقيقها بعد الظهر إلى الغابة لجمع الأخشاب وتمجلسا على جذوع الأشجار حيث قصَّت عليه حقيقة الأمر واستطاعت ملاحظة أن الخوف قد تسلل إلى نفسه، حيث إن موقفه فى الدوَّار كان لا يزال مُزعزعًا وأخذ يُثنى عليها كثيرًا لأنها لم تتفوه بشيء أمام زوجته، كما كان واضحًا أنه توقع من زوجته الشابة موقفًا غير متسامح بدرجة كافية تجاه الطفل البروتستانتى وأراد أن تستمر الخدعة.

غير أن ذلك لم يكن بالسهل أن يستمر طويلاً.

كانت آنّا تشارك فى الحصاد، بينما ترعى طفلها حيث كانت تُسرع إليه دائما من الحقل إلى المنزل بينما ينعم الآخرون بالراحة. لقد ترعرع الطفل، كما أصبح بدينًا وكان يضحك غالبًا كلما كان يرى آنّا ويحاول رفع رأسه عاليًا فى قوة ولكن سرعان ما حل الشتاء وبدأت زوجة الشقيق فى السؤال عن زوج آنّا.

لم يكن هناك ما يمنع أن تبقى آنّا فى الدوّار حيث أمكنها تقديم ما يفيد، وكان السيئ فى الأمر هو أن الجيران اندهشوا لوالد صبى آنّا لأنه لم يأت أبدًا للبحث عنه وإذا لم تستطع إظهار أب لطفلها فلابد أن يموج الدوّار على الفور بالثرثرة.

وفى صباح يوم أحد علقّ الأخ الفلاح الحصان بالعربة وأمر آنا صائحا بأن تأتى معه لإحضار أحد العجول من قرية مجاورة، وفى الطريق غير الممهد أخبرها بأنه بحث ووجد لها زوجًا وكان عاملا زراعيا مريضا لدرجة الموت، يكاد لا يقوى على رفع رأسه الهزيلة من على ملاءة السرير القذرة عندما وقفا كلاهما أمامه فى كوخه المنخفض.

كان راضيا بالزواج من آنّا. عند مؤخرة السرير كانت تقف والدته وهى عجوز صفراء البشرة، وكانت تتوق إلى الحصول على مقابل للمعروف الذى تم تقديمه إلى آنا، تم الاتفاق على الصفقة خلال

عشر دقائق وتمكن كل من آنا وشقيقها من مُواصلة رحلتهما وشراء العجل وتم الزواج فى نهاية الأسبوع نفسه وبينما كان القسيس يتمتم بعبارات المراسم لم يلتفت المريض ولو مرة واحدة، بنظرة شاردة على آنّا، لم يكن شقيقها يشك فى أنهما سيحصلان على شهادة الوفاة خلال بضعة أيام، بعدها يقال إن زوج آنّا والد الطفل قد توفى فى مكان ما فى إحدى القرى بالقرب من آوجزبورج وهو فى الطريق إليها وحينئذ لن يندهش أحد إذا بقيت الأرملة فى منزل شقيقها.

عادت آنًّا فرحة من زفافها الغريب الذى لم يتواجد فيه لا أجراس كنائس ولا موسيقى آلات نحاسية ولا عذراوات ولا ضيوف. وفى حجرة الطعام تناولت كوجبة زفاف كسرة من الخبز وشريحة من شحم الخنزير، وتقدمت بعد ذلك هى وشقيقها إلى الصندوق حيث كان يرقد الطفل الذى أصبح الآن يحمل اسما، فقامت بإحكام تغطيته أكثر بالملاءة وابتسمت لشقيقها.

غير أن شهادة الوفاة قد طال انتظارها.

ولم يأت أمر قاطع بالنسبة للعجوز لا فى الأسبوع التالى ولا فيما تلاه، وكانت آنًّا قد حكت فى الدوار أن زوجها فى الطريق إليها وبعد ذلك عندما كان يسألها أحد عن مكان وجوده كانت تقول إن الثلوج المتراكمة عاقت رحلته، ولكن عندما انقضت ثلاثة أسابيع

أخرى اضطر شقيقها وهو فى غاية القلق للسفر إلى القرية القريبة من أوجزبورج.

عاد فى وقت متأخر من الليل وكانت آنَّا لا تزال يقظة وأسرعت ناحية الباب عندما سمعت العربة تدخل الدوار فى صخب وشاهدت كيف كان شقيقها يحل الحصان من العربة وقلبه يعتصر حزنًا.

لقد أحضر معه خبرًا سيئًا، فعندما دخل الكوخ وجد أمامه الرجل الذى على حافة الموت يجلس عند المنضدة يتناول طعام العشاء يرتدى أكمام الوقاية ويمضغ بوجنتيه. لقد استعاد صحته تمامًا. لم ينظر الفلاح إلى شقيقته آنَّا فى وجهها عندما كان يسترسل فى الحديث، كما بدت على العامل الزراعى، وللعلم فكان يدعى أوتيرار، ووالدته علامات الدهشة لهذا التغير ولم يكن قد توصلوا بعد إلى قرار فيما يجب أن يحدث، ولم يُظهر أوتيرار أى انطباع سيئ، فلقد تحدث قليلا وأشار مرة إلى والدته بالتزام الصمت عندما أرادت أن ترثى حالها حيث يتعلق الآن فى رقبة ابنها امرأة غير مرغوب فيها وطفل غريب. ظل أوتيرار يستمر على مهل فى تناول وجبة الجبن الخاصة به بينما يدور الحديث وظل يأكل بينما كان الشقيق ينصرف.

وفى الأيام التالية كانت آنَّا مهمومة جدًا بطبيعة الحال وحدث خلال ممارستها لعملها المنزلى أن تعلم الصبى المشى، وعندما كان يترك عصا النول ويأتى إليها متعثرا بأذرع مفتوحة كانت تتلقاه وتضمه إليها حيث يغلب عليها انتحابة جافة.

وذات مرة سألت هى شقيقها: ما نوعية الرجل؟ فقد شاهدته فقط على فراش الموت ولم يكن ذلك إلا مساء، وعلى ضوء شمعة خافتة، ولقد علمت الآن أن زوجها رجل منهك فى الخمسين من عمره، وربما أنه مالك لعقار.

شاهدته عقب ذلك بفترة وجيزة حيث أخبرها بائع متجول بقدر كبير من السرية أن "أحد المعارف المعنيين" يريد اللقاء بها فى اليوم الفلانى والساعة الفلانية فى القرية الفلانية، هناك حيث يتفرع الطريق متجها إلى لاندسبرج، وهكذا التقى الزوجان فى المسافة بين قريتيهما مثل القادة القدماء، فى المسافة بين صفوفهم القتالية فى المساحة الشاسعة حيث كان الثلج يكسوها.

لم تعجب آنا بالرجل.

لم يكن لديه أسنان رمادية وكان يدقق النظر إليها من أعلى إلى أسفل، على الرغم من أنها كانت تختبئ فى فراء شاة كثيف وما يظهر منها ليس بكثير، ثم استخدم الكلمات "قدسية الزواج" قالت هى باختصار إنها مضطرة لمعاودة التفكير فى كل شىء وإنه عن طريق

تاجر أو جزار يأتى إلى جروس آيتنجن ينبغى عليه أن يبلغها أمام زوجة شقيقها بأنه سيحضر على وجه السرعة وكل ما هناك أنه مرض فى الطريق إليها.

أوماً أوتيرار بطريقته المتأملة. لقد كان أطول منها بما يزيد على ارتفاع رأس وكان عند الحديث ينظر إليها دائمًا من ناحية الجانب الأيسر لعنقها حيث كان ذلك يضايقها.

غير أن الرسالة لم تأت وراودت آنّا فكرة أن تذهب بالطفل فى هدوء إلى خارج الدوار وتتجه جنوبًا بعد ذلك وتبحث عن عمل لها قد يكون فى كيمبتين أو فى زونتهوفن ولم يمنعها سوى عدم أمان الطرق الزراعية التى كثرت عليها الثرثرة، كما كان الوقت فى منتصف فصل الشتاء.

لكن الإقامة فى الدوار أصبحت الآن صعبة، فعلى مائدة الغداء وأمام الخدم على وجه الخصوص أخذت زوجة شقيقها تستفسر استفسارات مريبة عن زوجها، حتى إنها عندما صاحت وهى تنظر إلى الطفل بعطف مزيف قائلة "ياله من دودة مسكينة"، قررت آنا أن ترحل بشكل قاطع، غير أن الطفل قد مرض.

رقد الطفل فى صندوقه قلقًا، وجهه شديد الاحمرار وعيناه ذابلتان وظلت آنا ليالى بأكملها تسهر على خدمته فى خوف وأمل

وعندما أحست بأنه عاود طريق الشفاء واسترد ابتسامته حدث طرق على الباب قبل ظهر أحد الأيام حيث كان أوتيرار يهم بالدخول.

لم يكن أحد بالحجرة سوى آنا والطفل، حتى إنها لم تضطر إلى التكلف فى تصرفها وهو ما لم يكن أيضا ممكنا بسبب فزعها للمفاجأة وقفا صامتين مدة طويلة ثم صرح أوتيرار بأنه تدارس الأمر من جانبه وأنه حضر لأخذها معه وأخذ ينوه ثانية إلى قدسية الزواج.

غضبت آنا وقالت للرجل بصوت ثابت إن لم يكن أجش، بأنها لا تفكر فى العيش معه وأنها لجأت إلى الزواج من أجل طفلها وأنها لا تريد منه شيئا سوى أن يهب هو اسمه لها وللطفل.

وبينما هى تتكلم عن الطفل أخذ أوتيرار ينظر خلسة فى اتجاه الصندوق الذى كان يرقد فيه الطفل ويخرج ألفاظا غير مفهومة دون أن يتقدم ناحيته وهذا ما زاد من غضب آنّا منه.

أخذ يخرج من فمه بعض الأقوال المأثورة بما يفيد أنها ينبغى عليها أن تراجع كل حساباتها مرة أخرى وأنه يعانى من قلة التغذية وأن والدته يمكنها المبيت فى المطبخ، وهنا دخلت الأم الفلاحة وحيَّته فى حب استطلاع ودعته لتناول الغداء، أما هو فقد رحب بالفلاح، وهو جالس فعلا أمام الطبق، يهز رأسه دون اكتراث، لا متظاهرًا بعدم معرفته له ولا مدعيا بأنه قد تعرف عليه من قبل. لقد كان يرد باختصار على استفسارات الفلاحة دون أن يرفع نظراته عن الطبق

مفيدًا بأنه عثر على مكان عمل فى ميرينج وأن آنّا تستطيع الانتقال إلى جواره، غير أنه لم يفصح بشىء أكثر يفيد بأن ذلك لابد أن يتم على وجه السرعة.

وبعد الظهر تجنب الجلوس مع الفلاح وأخذ يقطع الأخشاب خلف المنزل دون أن يكون قد كلفه أحد بذلك، وبعد وجبة العشاء التى شارك فيها ثانية فى صمت قامت الفلاحة بنفسها بإحضار غطاء إلى غرفة آنا حتى تتمكن من المبيت هناك، ولكنه نهض فى خمول يدعو إلى الدهشة وأخذ يتمتم قائلاً بأنه مضطر إلى العودة فى الليلة نفسها، وقبل أن يرحل أخذ يحملق بنظرة شاردة إلى داخل الصندوق حيث الطفل ولكنه لم يتفوه بشىء ولم يمس الطفل، وفى الليل مرضت آنّا وأصيبت بالحمى التى استمرت أسابيع طوال وظلت معظم الوقت راقدة دون أية مشاركة من جانبها اللهم إلا أحيانا فى فترة ما قبل الظهيرة عندما كانت حدة الحمى تهدأ قليلا، فكانت تزحف حتى الصندوق حيث الطفل وتقوم بإحكام الغطاء.

وفى الأسبوع الرابع من مرضها مر أوتيرار على المنزل وأخذها هى والطفل حيث استسلمت لحدوث ذلك فى صمت.

ولم تستعد قواها إلا ببطء ولا عجب فى ذلك مع تناولها الحساء غير الدسم فى دار زوجها، غير أنها رأت ذات صباح مدى اتساخ الطفل فنهضت فى عزيمة حيث استقبلها الطفل بابتسامته

اللطيفة التى كان يدعى شقيقها دائما بأنه ورثها عنها. لقد كبر وأخذ يزحف بسرعة لا تصدق داخل الحجرة راطمًا بيديه ومخرجا صيحات ضعيفة عندما يسقط على وجهه فكانت تغسله فى حوض خشبى وتستعيد اطمئنانها، وطبعا بعد بضعة أيام لم تعد تستطيع تحمل الحياة فى الكوخ فقامت بلف الصغير فى بعض الأغطية ووضعت فى جيبها رغيفًا من الخبز وقليلاً من الجبن وخرجت مسرعةً.

كانت قد عقدت النية على الذهاب إلى زونتهوفن إلا أنها لم تتمكن من ذلك حيث كانت لا تزال حقًا لا تقوى على صلب نفسها على ساقيها. كان الطريق الزراعى يغطيه الجليد الذائب كما أن الناس فى القرى قد أصبحوا بسبب الحرب ظنانين وبخلاء للغاية، وفى اليوم الثالث من رحلتها جزعت قدمها فى حفرة بالطريق وبعد ساعات كثيرة انشغلت خلالها كثيرًا بالطفل وثم نقلها إلى فناء ريفى حيث اضطرت إلى أن ترقد هناك فى الحظيرة، وكان الصغير يزحف بين سيقان البقر وحولها ويضحك فقط عندما كانت آنّا تصرخ خائفة عليه وأخيرًا اضطرت هى أن تفصح لصاحب الدوار عن اسم زوجها حيث اصطحبها ثانية إلى ميرينج.

ولم تعد هى منذ الآن فصاعدًا تحاول القيام بأية محاولة للهرب وصبرت على قدرها وأخذت تكد فى عملها وكان من الصعب أن تخرج بشىء يعود عليها من الأرض الزراعية الصغيرة وأن تحافظ

على استمرارية العائد الضئيل، غير أن الزوج لم يكن لطيفًا معها وفاض الكيل بالصغير، وحدث أن جاء شقيقها إليها ليعيش معها وأحضر معه أشياء وأشياء كهدايا حتى إنها ذات مرة تمكنت من أن تصبغ لصغيرها سروالاً باللون الأحمر وظنت أنه يمكن أن يناسب ابن صباغ محترف.

لقد أصبحت مع الوقت فى حالة من الرضى التام واستمتعت كثيرًا بتربية صغيرها وهكذا مرت سنوات كثيرة.

غير أنه حدث ذات يوم أن ذهبت إلى القرية لإحضار شراب وعندما عادت لم يكن الطفل فى الكوخ وأخبرها زوجها أن سيدة أنيقة الملبس مرت فى عربتها الحنطور وأخذت الطفل فراحت هى تترنح على الحائط من الفزع، ثم قامت فى المساء نفسه بإعداد صرة بالمأكولات حملتها وشقت طريقها إلى مدينة آوجزبورج.

وأول ما فعلته فى المدينة هو أنها توجهت إلى المدبغة غير أنه لم يسمح لها بالدخول ولم تتمكن من مشاهدة الطفل.

ودون جدوى حاولت شقيقتها وزوجها التحدث معها لمواساتها وأسرعت هى إلى السلطات وصاحت دون وعى قائله بأن طفلها قد سرق وراحت بعيدًا إلى حد أنها ألمحت إلى أن البروتستانت قد سرقوا طفلها، فقد علمت حينئذ بأن أجواء أخرى تسيطر وأن هناك سلام قد عقد بين الكاثوليك والبروتستانت وقلما كان يمكنها أن تفعل

شيئا إذا لم يكن قد حالفها حظ من نوع خاص فلقد تم إحالة مشكلتها القانونية إلى قاض كان فريدًا تمامًا فى نوعيته كرجل.

لقد كان هذا الرجل هو القاضى إيجناس دولينجر المعروف تمامًا فى منطقة شفابن بجفائه وعلمه الغزير من قبل ولى عهد إقليم البفاريا الذى كان قد حسم معه نزاعا قانونيًا يخص المدينة الحرة التابعة للرايخ، إنه هذا الفلاح القذر اللاتينى المعمد الذى مدحه عامة الشعب فى قصيدة طويلة.

لقد مثلت آنّا أمامه ترافقها شقيقتها وزوجها وكان هذا الرجل العجوز القصير القامة والبدين كثيرًا ما يجلس بين أكوام من المستندات البالية فى حجرة صغيرة وخاوية. لقد استمع إليها لفترة وجيزة للغاية ثم كتب شيئا على ورقة وهمهم بأصوات غير مفهومة قائلاً: ادخلى إلى هناك ولكن بسرعة وأخذ يوجهها بيده الصغيرة الغليظة لتذهب إلى مكان معين بالحجرة كان يسقط عليه الضوء من خلال نافذة ضيقة، ثم أمعن النظر فى وجهها لبضع دقائق ولوّح إليها بالانصراف وهو يتنهد نافرًا.

وفى اليوم التالى أمر باستدعائها على يد حاجب فى المحكمة وصاح فى وجهها عندما كانت لاتزال تتمهل واقفة على عتبة الباب ثم قال: لماذا لم تقولى أى شىء عن أن الأمر يتعلق بمدبغة فى ضيعة رائعة؟

فقالت آنّا بإصرار بأن الأمر بالنسبة لها يتعلق بطفل، وهنا صاح القاضى قائلا "لا تتوهمى بأنك ستستطيعين الحصول على المدبغة، وإذا كان الطفل غير الشرعى يخصك حقا فإن المدبغة ستئول إلى أقارب تسينجلى"، وأومأت آنّا بالإيجاب دون أن تنظر إليه ثم قالت إن الطفل ليس بحاجة إلى المدبغة.

وصاح القاضى نابحًا كالكلب قائلاً: "هل الطفل يخصك؟"

فأجابت هى بصوت منخفض "نعم، ليتنى أستطيع الاحتفاظ به إلى أن يتمكن من نطق كل الكلمات، إنه لا يعرف سوى سبع كلمات".

وهنا سعل القاضى وهو يرتب أوراقه على المنضدة ثم قال وهو أكثر هدوءًا ولكن لايزال بنغمة غاضبة: "أنت تريدين الصبى والعنزة الموجودة هنا بفساتينها الحريرية الخمسة تريده أيضًا، غير أنه فى حاجة إلى الأم الحقيقية" فقالت آنّا "نعم" وهى تدقق النظر إلى القاضى، فزمجر هو قائلاً: "اغربى! يوم السبت سأعقد جلسة المحكمة".

وفى يوم السبت هذا وكان الشارع الرئيسى والميدان أمام مجلس المدينة عند برج بيرلاخ غاصًا جدًا بالناس الذين أرادوا حضور قضية الطفل البروتستانتى، وكانت هذه القضية الغريبة قد لفتت الأنظار كثيرًا منذ البداية ونشبت مشاجرات حولها فى المساكن

والمطاعم حول من هى الأم الحقيقية ومن المزيفة، فضلاً عن أن دولينجر العجوز كان مشهورًا جدًا من خلال قضاياه الشعبية وأساليب كلامه اللاذع وأقواله المأثورة، وكانت جلساته محببة أكثر من جلسات بليرير وكير شفابيه، ولذلك فإنه لم يتكدس أمام مجلس المدينة فقط الكثير من أهالى أوجزبورج، بل كان هناك أيضا عدد ليس بالقليل من فلاحى المنطقة المحيطة وكان يوم الجمعة هو يوم سوق المدينة، ولقد بات الجميع فى المدينة انتظارًا للمحاكمة. وكانت القاعة المسماة بالقاعة الذهبية هى القاعة التى فيها نظر القاضى دولينجر القضية وكانت مشهورة بأنها هى القاعة الوحيدة فى ألمانيا كلها والأكبر مساحة والتى لم يكن لها أية أعمدة، كما كان سقفها معلقًا بسلاسل عند أجناب السطح.

جلس القاضى دولينجر وكأنه جبل مستدير صغير من اللحم أمام البوابة المعدنية المعلقة التى تتعالى بطول الحائط، وكان هناك حبل عادى يفصل المستمعين، وأما القاضى فكان يجلس على الأرض دون أن يكون أمامه منضدة وكان هو نفسه قد اتبع هذا النظام منذ سنوات ولم يهتم كثيرًا بمظاهر الأبهة.

وكان حاضرًا داخل القاعة المعزولة بالحبال السيدة تسينجلى مع والديها وأقارب المتوفى السيد تسينجلى من السويسريين الذين قدموا بالقطار وهم اثنان من الرجال الوقورين حسنى الهندام مثل

التجار الأثرياء فى مظهرهم بالإضافة إلى آنا أوتيرار وشقيقتها وكان يرى إلى جانب السيده تسينجلى مرضعة ومعها الطفل.

وقف الجميع، أطراف نزاع وشهود، فلقد تعود القاضى دولينجر أن يقول بأن المحاكمات قد تستغرق وقتا أقصر عندما يقدم الحاضرون على الوقوف، غير أنه ربما كان يتركهم يقفون ليس إلا لأنهم كانوا يحجبونه عن الجمهور حتى إن المرء لم يكن من الممكن أن يراه إلا إذا وقف على أصابع قدميه ومد رقبته إلى أعلى.

ومع بداية المحاكمة وقعت حادثة، فعندما نظرت آنّا إلى الطفل أخرجت صيحة وخطت إلى الأمام وأراد الطفل أن يتوجه إليها وأخذ يتحرك قلقا وبشدة بين ذراعى المرضعة وبدأ فى الصراخ وهنا أمر القاضى بإخراجه من القاعة.

ثم نادى على السيدة تسينجلى فجاءت مذهولة مسبقا، وبينما هى بين الحين والآخر تطيّر منديل رأسها بعيدًا عن أعينها أخذت تشرح كيف قام الجنود القيصريون أثناء عمليات النهب بانتزاع الطفل منها، كما حدث فى الليلة نفسها أن كانت الخادمة قد وصلت إلى منزل والدها وأفادت بأن الطفل لايزال فى المنزل، ربما لأنها كانت تنتظر حصولها على بقشيش، غير أن طباخة لدى والدها تم إرسالها إلى المدبغة ولكنها لم تجد الطفل وتعتقد وهى تشير إلى آنّا أن شخصا استولى عليه لنفسه كى يتمكن بصورة أو بأخرى من الضغط لابتزاز

نقود، كما أن هذا الشخص سيكون إن آجلا أو عاجلاً قد عبر عن مثل هذه المطالب إذا لم يكن قبل ذلك قد تم انتزاع الطفل منه.

نادى القاضى دولينجر على كلا القريبين للسيد تسينجلى وسألهما عما إذا كانا هما آنذاك قد حضرا للسؤال عن السيد تسينجلى وماذا حكت لهما السيدة تسينجلى فأدليا بشهادتيهما قائلين بأن السيدة تسينجلى أعلمتهما بأن زوجها قد قتل وأنها استأمنت إحدى الخادمات على الطفل ليحظى برعاية جيدة منها، أما هما فقد تحدثا عنها فى جفاء للغاية فلم يكن ذلك غريبًا بطبيعة الحال لأن الضيعة ستئول إليها إذا حكم فى القضية لصالح السيدة تسينجلى .

بعد سماع أقوالهما اتجه القاضى إلى السيدة تسينجلى وأراد أن يعرف منها عما إذا كانت هى آنذاك وقت الهجوم قد فقدت ببساطة صوابها وتخلت عن الطفل تاركه إياه.

وهنا أمعنت السيدة تسينجلى النظر فى القاضى بعينيها الزرقاوين الباهتتين فى دهشة وقالت باستياء إنها لم تتخل عن طفلها.

وتنحنح القاضى دولينجر وسألها بشغف عما إذا كانت تعتقد أنه لا توجد أم يمكن أن تتخلى عن طفلها.

فأكدت هى قائلة بأنها تعتقد فى ذلك حقًا.

واستطرد القاضى سائلاً عما إذا كانت هى تعتقد أيضا فى أن أما تفعل ذلك حقًا حتى ولو اقتضى الأمر ضربها على مقعدتها أو على أى مكان فكم عدد الجيبات التى تضعها عليها؟

ولم تعط السيدة تسينجلى أية إجابة فى حين قام القاضى باستدعاء الخادمة السابقة آنّا فتقدمت على وجه السرعة وقالت بصوت منخفض ما أدلت به من قبل فى التحقيقات المبدئية غير أنها أخذت تتحدث وكأنها تتنصت فى الوقت نفسه وتنظر بين الحين والآخر إلى الباب الكبير الذى كان قد تم إحضار الطفل خلفه وكأنها تخشى أن يكون الطفل لايزال دائما يصرخ.

أدلت بأقوالها فذكرت بأنها ذهبت فى تلك الليلة إلى منزل عم السيدة تسينجلى ولكنها لم تعد بعد ذلك إلى المدبغة خوفًا من جنود القيصر، ولأن الهموم قد انتابتها خوفا على طفلها غير الشرعى الذى كان قم تم إيداعه لدى أناس طيبين فى منطقة ليشهاوزن المجاورة.

وهنا قاطعها العجوز دولينجر بجفاء وتحدث بحدة قائلا، حسنا إن كان هناك شخص على الأقل فى المدينة قد شعر بشىء مثل الخوف ثم يعبر عن سروره لإمكانية التأكد من ذلك لأن ذلك يبرهن على أنه فعلاً كان هناك شخص على الأقل قد تحلّى بالحكمة آنذاك ومن الجميل حقًا أنه لم يحدث أن الشاهدة قد انشغلت فقط بالطفل، غير أنه من ناحية أخرى فإن ذلك يعنى حقا فى لغة الشعب بأن الدم

لا يمكن أن يصبح ماء وأن الأم الحقيقية هى التى أيضًا تروح لتسرق من أجل طفلها رغم أن ذلك ممنوع تماما بحكم القانون لأن الملكية تعنى الملكية ومن يسرق يكذب أيضا والكذب يحرمه القانون كذلك، ثم ألقى بعد ذلك بأحد دروسه الحكيمة اللاذعة عن مكر واحتيال الناس الذين يراوغون المحكمة حتى تزرق وجوههم، وبعد تفريعة كلامية صغيرة عن الفلاحين الذين يخلطون لبن الأبقار البريئة بالماء وعن إدارة بلدية المدينة التى تجمع من الفلاحين ضرائب السوق الباهظة للغاية وكيف أن ذلك ليس له أية علاقة بالقضية، أعلن القاضى دولينجر أنه قد تم الانتهاء من أخذ أقوال الشهود وأنها لم تسفر عن شىء.

ثم أعلن عن فترة راحة طويلة وأبدى كل علامات الحيرة ناظرًا إلى من حوله وكأنه ينتظر من أى أحد من الأطراف أن يوافيه باقتراح عن كيفية إمكانية الوصول إلى نهاية مرضية.

وكان الناس ينظرون إلى بعضهم البعض فى دهشه ومدَّ البعض رقابهم ليدركوا القاضى قليل الحيلة بأنظارهم وأطبق سكون رهيب على القاعة ولم يكن يستطيع المرء سماع هذا الجمع من الناس إلا فقط عبر الشارع.

ثم عاود القاضى الحديث متنهدًا فقال: "إنه لم يثبت بعد من هى الأم الحقيقية، ولابد لنا أن نرثى لحال الطفل فقد سمعنا أنه غالبًا ما

يتهرب الآباء ولا يريدون أن يكونوا آباء هؤلاء الأوغاد، غير أنه هنا حاليًا اثنتان من الأمهات ولقد استمعت هيئة المحكمة إليهما طويلا، حيث أعطت لكل من المتشاجرتين خمس دقائق بالعدل، وتوصلت هيئة المحكمة إلى الاقتناع بأن كلتيهما كما حدث تكذبان غير أنه الآن يجب مراعاة مصلحة الطفل، فلابد أن يكون له أمٌ، أى أنه يجب بعيدًا عن مجرد الثرثرة إثبات من هى الأم الحقيقية للطفل".

وبصوت غاضب نادى على حاجب المحكمة وأمره أن يحضر له طباشير فذهب حاجب المحكمة وأحضر قطعة من الطباشير وأمره القاضى قائلاً: "ارسم بالطباشير هناك على الأرضية دائرة يمكن لثلاثة أشخاص أن يقفوا بداخلها".

فنزل حاجب المحكمة على ركبتيه وخط بالطباشير الدائرة المطلوبة ثم أمره القاضى قائلاً: "أحضر الطفل".

وتم إدخال الطفل الذى بدأ فى معاودة الصراخ وأراد الذهاب إلى أنَّا ولم يبالى دولينجر العجوز بالصراخ وألقى خطبته ولكن بنغمة عالية بعض الشىء فقال: "إن هذه التجربة التى ستجرى الآن وجدتها فى كتاب قديم وتعتبر ناجحة حقًا. إن الفكرة الأساسية البسيطة لتجربة دائرة الطباشير هى التعرف على الأم الحقيقية من حُبها للطفل، إذن فيجب اختبار قوة هذا الحب. يا حاجب المحكمة، ضع الطفل فى هذه الدائرة الطباشيرية".

فأخذ حاجب المحكمة الطفل الباكى من ذراع المرضعة وأدخله فى الدائرة واستطرد القاضى ملتفتًا إلى السيده تسينجلى وآنًا قائلا: "ضعا نفسيكما داخل الدائرة الطباشيرية ولتمسك كل واحدة منكما يدا من يدى الطفل وعندما أقول هيا فلتبذل كل منكما جهدها لجذب الطفل إلى خارج الدائرة ومن منكما لديها الحب الأكبر فإنها ستجذبه أيضا بقوة أكثر حيث يمكنها بذلك أن تأتى بالطفل إلى ناحيتها".

ولقد ساد التوتر فى القاعة عندما دخلت كلتا السيدتين الدائرة وأمسكت كل واحدة منهما يدًا من يدى الطفل، كما كان الطفل مشدوها وكأنه شعر بما قد يحدث ورفع وجهه الصغير الغارق فى الدموع عاليا فى اتجاه آنّا، ثم أشار القاضى قائلاً: هيا.

وبجذبة قوية واحدة انتزعت السيدة تسينجلى الطفل من دائرة الطباشير، فأخذت آنًّا تنظر إليها فى حيرة وغير مصدقة حيث خشيت أن الطفل يمكن أن يُصاب بأذى إذا تم جذبه من كلتا ذراعيه الصغيرتين فى اتجاهين متضادين فى وقت واحد، لذا فقد قامت بتركه على الفور، وهنا نهض دولينجر العجوز وقال بصوت مرتفع: "وبذلك نعرف من هى الأم الحقيقية. خذوا الطفل بعيدًا عن المرأة العفشة، فلقد كادت تمزقه إربًا بسبب برودة قلبها". ثم أومأ برأسه إلى آنًّا وخرج مسرعًا من القاعة ليتناول طعام إفطاره.

وعلى مر الأسابيع التالية أخذ فلاحو المناطق المجاورة الذين لم يكونوا أغبياء يحكون أن القاضى كان قد غمز بعينيه للسيدة مواطنة قرية ميرينج عندما أمر بأحقيتها للطفل.

الكاتب الروائى

بيرتولت بريشت

عندما سُئل كاتب روائى عن السبب فى أنه لا يتحدث دائمًا فى أعماله إلا عن البؤس ولا يبحث ولا يعرض دائمًا سوى التأثير المدمر للبؤس على البشر، وعن السبب فى أنه لم يعرض إطلاقًا صورًا مليئة بالآمال ومفرحة للحياة الإنسانية، أجاب بأن أخذ يحكى القصة التالية:

أُستدعى طبيب إلى رجل كان يشعر باعتلال صحته على مدى فترة طويلة حتى إنه لزم الفراش لما بدا عليه من ظواهر المرض الشديد، ولقد تمكن هذا الطبيب خلال وقت قصير للغاية من تهدئة المريض وأتباعه المهمومين ومن بعث الأمل فيهم مبشرًا بشفاء عاجل، فقد قام بتشخيص المرض واعتبر الحالة إلى حد ما بمثابة أمر بسيط وعارض وأعطى توجيهات دقيقة ووصف أدوية مختلفة، كما أنه لم يدخر جهدًا فى التردد يوميًا على المريض بضع مرات حتى إنه أصبح الضيف الوحيد الذى يلقى أكبر ترحيب عند قدومه إلى منزل المريض.

وحدث أن اشتد المرض على الرجل فكاد لا يقوى على رفع إصبع له عاليا حيث كانت الحمى قد أنهكته، ورغم ذلك كان الطبيب

يتحدث عن الصيف وعن الرحلات وعن الوقت الذى سيتماثل المريض فيه للشفاء وأنه سيعيش حياة طيبة.

وحدث فى هذه الأيام أن كان صديق قديم للعائلة وهو طبيب مشهور يتجول فى المدينة التى كان الرجل المريض يعيش فيها، وبمجرد أن رأى المريض انزعج لأنه تأكد له أن الرجل الذى كان صديقًا له لن يبقى على قيد الحياة، فقد قام بفحص المريض طويلا وبدقة ولم يفصح للأهل عن مخاوفه على الرغم من أنه كما قال ليس قادرًا حتى ذلك الحين على معرفة السبب الحقيقى للمرض، وعندما توفى الرجل بعد ذلك بيومين سألت الأم البائسة الصديق، ألم يكن من الممكن إنقاذ ابنها لأنها كانت قد سمعت أن هذا المرض بالذات الذى ذكره لها الطبيب نادرًا ما ينتهى بالوفاة. وهنا فكر الصديق قليلاً ثم قال: "لم يكن فى الإمكان إنقاذه" إلا أنه وهو خارج المكان قال لشقيق المتوفى وهو الابن الأصغر لها: "لو كان قد تم عرض شقيقكم فورًا على طبيب جراح لكان لا يزال على قيد الحياة حتى يومنا هذا، هذا هو رأى أقوله لكم، إن والدتكم متقدمة فى السن ولم تعد فى حاجة إلى الحقيقة ولا يلزمها سوى المواساة، أما أنت فإنك شاب ويلزمك الحقيقة"، ثم توجه الرجل الشاب بسؤال قائلاً: ولكن لماذا لم يوص الطبيب الذى استدعيناه آنذاك بعرضه على الفور على طبيب جراح؟، ولماذا كان يتحدث دائمًا عن التحسن فقط وعن

صحة شقيقى؟ ولماذا إذن الأدوية غالية الثمن والتوجيهات الصارمة بما أنها لا تفيد؟"

فردَّ الآخر قائلاً: "أيها الصديق ليس بالقطع دائما أن تكون هناك فائدة للأدوية غالية الثمن والتوجيهات الدقيقة، ولكن ما ينبغى أن يطلبه المرء من أى طبيب هو أن يحدد السبب الصحيح للمرض، ولكى يتم شفاء أى شخص فإن المرء يحتاج أولا إلى تشخيص صحيح، ولكى يمكن التوصل إلى تشخيص صحيح فإن المرء لا يحتاج إلى معرفة أساسيات الطب فحسب بل إلى الرغبة الجادة فى علاج المرض، ولا يكفى أن يكون المرء مجرد طبيب، إنما يلزمه أيضًا أن يكون قادرًا على تقديم العون. وذلك الطبيب كان يتحدث عن التحسن قبل أن يكون قد تأكد من السبب الحقيقى للمرض. أما أنا فأتحدث طويلاً جدًا عن المرض وليس عن شىء آخر سوى المرض، إلى أن أعرف السبب الدقيق للمرض وأعرف الوسيلة الدقيقة لمكافحته بشكل فعال وتتضح البشائر الأولى للتحسن وعندئذ ربما أتحدث عن الشفاء".

وأنهى الكاتب الروائى قصته قائلاً: "هذه هى الحكاية أو ما شابـــهها". وبعد فترة صمت وجيزة كنوع من المجاملة سأله أحد فى دهشة قائلاً: "ولكنك بالقطع لست طبيبًا".

فأجابه قائلا: "لا، بل إننى كاتبٌ روائى".

ميزان عائلة باليك

بيرتولت بريشت

فى موطن جدى كان معظم الناس يحصلون على قوت يومهم من العمل فى استخراج الألياف من سيقان الكتان، ومنذ خمسة أجيال وهم يستنشقون الغبار الذى ينبعث من السيقان المتهشمة، يلقون حتفهم ببطء أولئك الصابرون السعداء من الجنسين، كانوا يأكلون جبن الماعز والبطاطس وأحيانا يذبحون أرنبًا بريًا وفى المساء يغزلون ويشتغلون أعمالاً بالإبرة وهم فى حجراتهم، كما كانوا يغنون ويشربون شاى النعناع وكانوا سعداء. كانوا يقومون طوال اليوم بقطع الكتان داخل آلات عتيقة ويتحملون الغبار دون واق وكذا الحررة التى تنبعث من أفران التجفيف، وكانت حجراتهم تحتوى على سرير وحيد على شكل دولاب كان مخصصا للوالدين بينما كان الأولاد ينامون حوله على كنب.

كانت حجراتهم تموج كل صباح برائحة شوربة الدقيق وفى أيام الأحد كان يوجد كبيبة وكانت وجوه الأولاد تحمر من البهجة عندما تصبح قهوة البلوط السوداء بيضاء ويزداد بياضها دائما من اللبن الذى كانت الأم تسكبه فى أوانى القهوة وهى تبتسم.

كان الوالدان يذهبان إلى العمل فى الصباح الباكر تاركين الأعمال المنزلية على عاتق الأولاد حيث كانوا يقومون بكنس الحجرة وترتيبها وغسل أوانى الطعام وتقشير البطاطس والثمار الصفراء الثمينة حيث كانوا يضطرون إلى إبراز قشرتها الرفيعة كى يشتتوا الشك فى حدوث أى تبديد أو استهتار ممكن.

وإذا أتى الأولاد من المدرسة كانوا يضطرون إلى الذهاب إلى الغابات ويقومون حسب فصل السنة بجمع عش الغراب والأعشاب.

وفى الصيف عندما يكونون قد جمعوا القش من مراعيهم الهزيلة كانوا يجمعون الزهور المختلطة بالقش وكان كيلو زهور القش يساوى بفينج (مليم) واحد وكان يباع بعشرين بفينجًا فى الصيدليات بالمدينة إلى سيدة حادة الطبع وكان الناس يساومون عليه فى المحلات بسعر مارك وعشرين بفينجًا.

كانت الصبية تزحف خلال فصل الخريف بعيدًا فى الظلمة الخضراء للغابات وعندما تطرد الرطوبة عش الغراب من الأرض وكانت لكل عائلة تقريبًا موقعها التى تقطف فيه عش الغراب، مواقع تم توارثها سرًا جيلاً بعد جيل.

كانت الغابات تابعة لعائلة باليك وأيضًا قطع الكتان، وكان أفراد عائلة باليك يمتلكون فى قرية مهبط رأس جدهم قصرًا وكانت لربة مجلس إدارة العائلة بجوار مطبخ اللبن حجرة صغيرة يتم فيها

وزن عش الغراب والأعشاب وزهور القش، وكان يوجد هناك على المنضدة الميزان الكبير لعائلة باليك وهو شيء عتيق مزخرف مغطى بطلاء برونزى كان قد وقف أمامه أجداد أجدادى حيث كانوا يعبئون السلال الصغيرة بعش الغراب والأكياس الورقية بزهور القش بأيديهم الصغيرة المتسخة، وكم اضطرت السيدة باليك إلى وضع العديد من الأوزان على الميزان حتى يقف المؤشر المتحرك بدقة على شرطة الوزن السوداء، خط العدالة الرفيع هذا الذى كان يلزم تحديده من جديد كل عام. وبعد ذلك تأخذ السيدة باليك الدفتر الكبير بغلافه الجلدى البنى اللون وتقوم بتدوين الوزن وتسديد الثمن، بفينجات أو جروشن ونادرًا جدًا جدًا ما كانت تدفع مرة ماركًا واحدًا، وعندما كان جدى طفلاً كان يوجد هناك بطرمان كبير به بونبون لاذع الطعم ثمن الكيلو منه مارك واحد وعندما كانت السيدة باليك التى كانت تتحكم فى كل شيء فى الحجرة الصغيرة رائقة المزاج، كانت تمسك بهذا البطرمان وتعطى منه قطعة من البونبون لكل طفل من الأطفال حيث كانت وجوههم تتوهج احمرارًا من الفرحة تمامًا كما تحمر وجوههم عندما كانت الأم تصب اللبن خصوصًا أيام الأعياد فى أوعية القهوة، لبنًا يجعل القهوة تأخذ لونًا فاتحًا، دائمًا أكثر نصاعة حتى يصبح لونها أشقر مثل ضفائر البنات.

إن أحد القوانين التى كانت عائلة باليك قد فرضتها على القرية هو أنه لا يحق لأحد أن يمتلك ميزانًا فى منزله. كان القانون قديمًا

جدًا حتى إنه لم يعد أحد يفكر متى ولماذا صدر ولابد من مراعاته لأن من يخرقه يتم إعفاؤه من مهمة قطع الكتان ويُحرم بعد ذلك من جمع عش الغراب والزعتر وزهور القش، وكان سلطان عائلة باليك قد وصل بعيدًا إلى درجة أنه أيضا فى القرى المجاورة لا يوجد أحد يعطيه عملاً ولا أحد يشترى منه أعشاب الغابة، غير أنه منذ أن كان أجداد جدى أولادا صغارا يجمعون عش الغراب ويقومون بتوريده كى يتم تتبيل المحمرات به فى مطابخ أثرياء مدينة براغ أو يمكن خبزه فى الفطائر، منذ ذلك الحين ولم يفكر أحد فى خرق هذا القانون، للدقيق كان يوجد مكيال واستطاع المرء عد البيض، والمنسوجات يتم قياسها حسب الذراع. وإضافة إلى ذلك فإن ميزان عائلة باليك العتيق المزيَّن بالبرونز لم يعط الانطباع بأنه لا يمكن أن يكون ميزانا غير دقيق ووثق فى مؤشره الأسود المتأرجح خمسة أجيال كانت تجمع فى الغابة بحماس طفولى.

غير أنه كان يوجد أيضًا بين هؤلاء الناس الصامتين البعض ممن يتجاهلون القانون. أشقياء كانوا يرغبون فى أن يكسبوا فى ليلة واحدة أكثر مما يمكن أن يكسبوا فى شهر كامل فى مصنع الكتان، كما أنه لم يظهر من بين هؤلاء أحد قد جال بفكره أن يشترى لحسابه ميزانًا أو يرسم لنفسه لعبة ميزان، وكان جدى أول من كان ذكيًا بالقدر الكافى كى يختبر عدالة أفراد عائلة باليك الذين كانوا يسكنون فى قصر ويقودون عربتى حنطور، وكانوا دائما يموّلون شابا فى

القرية لدراسة أصول الدين فى معهد دينى فى براغ، وكان القس يذهب إليهم كل أربعاء للعب الكوتشينة، وسمح لهم رئيس الدائرة الحكومية بوضع العلم القيصرى على الحنطور وكان يقوم بزيارتهم فى مناسبة العام الجديد، وكان القيصر قد منحهم لقب شريف مع مطلع عام ١٩٠٠.

كان جدى مجتهدًا وذكيًا، لقد استمر فى الزحف إلى داخل الغابات أكثر من أولاد عشيرته الذين سبقوه وتقدم حتى إلى الأماكن الخطيرة منها حيث يقال حسب الأسطورة إن هناك يسكن العملاق بيلجان يحرس كنز أفراد عائلة بالديرير الأسطورية، غير أن جدى لم يكن يهاب العملاق بيلجان، كان يتقدم بعيدًا إلى داخل الأماكن الخطرة وكان كصبى يأتى محملاً بغنائم كبيرة من عش الغراب حتى إنه كان يعثر على النوع المستطيل من عش الغراب الذى كانت تبيعه السيدة باليك بسعر الرطل ثلاثون بفينجًا. كان جدى يدون على ظهر صفحة نتيجة كل ما كان يحضره لأفراد عائلة باليك: كل رطل من عش الغراب، كل جرام من الزعتر، وكان يكتب بخطه الطفولى يمينا قرين كل صنف ما كان قد حصل عليه فى المقابل، كل بفينج كان يسجله منذ بلوغه العام السابع من عمره وحتى الاثنى عشر وعندما بلغ اثنى عشر عاما جاء عام ١٩٠٠ وقامت أفراد عائلة باليك بإهداء كل عائلة فى القرية، عندما منحهم القيصر لقب شريف، ربع رطل من اللبن الخالص المستورد من البرازيل، كما كان يوجد أيضًا بيرة

وتبغ للرجال، وفى القصر أقيم حفل كبير ووقفت الكثير من الحناطير فى شارع بابيل المؤدى من البوابة إلى القصر.

غير أنه فى اليوم السابق للحفل كان يتم تقديم القهوة فى الحجرة الصغيرة حيث كان يوجد فيها منذ مائة عام تقريبًا ميزان عائلة باليك الذى سمى من الآن باليك فون بيلجان، لأن بيلجان حسب الأسطورة هو العملاق الذى يقال إنه كان يمتلك قصرًا كبيرًا حيث يقام على أرضه مبنى عائلة باليك.

وكان جدى غالبًا ما يحكى لى كيف كان يدخل هناك إلى المدرسة كى يحضر القهوة لأربع عائلات: لعائلات سيش وفايدلر وفولا ولعائلته عائلة بروشير، كان الوقت هو عصر اليوم السابق لليلة رأس السنة، وكان لابد من تزيين الحجرات ولابد من إعداد المخبوزات ولا ينبغى للمرء أن يغفل عن إحضار أربعة من الشباب، وكل واحد على حدة يتركه يشق الطريق إلى القصر كى يحضر ربع رطل من القهوة، وهكذا كان يجلس جدى على كنبة خشبية ضيقة فى الحجرة الصغيرة ويوصى الخادمة جيرترود أن تحصى أمامه العبوات الثُمن كيلو الجاهزة من القهوة، أربع عبوات وكان ينظر إلى الميزان، إلى كفته اليسرى حيث كان موضوعًا بها حجر زنة نصف كيلو، بينما كانت السيدة باليك فون بيلجان مشغولة بالاستعدادات للحفل، وعندما أرادت جيرترود وضع يدها داخل بطرمان البونبون اللاذع الطعم كى تعطى قطعة إلى جدى تأكد لها أنه كان فارغًا، يتم

إعادة ملئه من جديد مرة كل سنة حيث كان يستوعب كيلو من هذا البونبون بسعر مارك واحد.

ضحكت جيرترود وقالت: "انتظر، سأحضر البونبون الجديد"، وبقى جدى ومعه العبوات زنة ثمن كيلو، الأربعة التى كانت مغلَّفة، ومقفولة باللاصق بمعرفة المصنع، واقفًا أمام الميزان الذى كان أحد قد وضع الحجر زنة نصف كيلو، وأخذ جدى عبوات القهوة الأربعة ووضعها على كفة الميزان الفارغة وأخذ قلبه يدق بشدة عندما رأى كيف بقى مؤشر العدالة الأسود معلقًا يسارًا إلى جانب الشرطة بينما الكفة التى بها الحجر زنة النصف كيلو قد بقيت أسفل بينما تعلق النصف كيلو القهوة فى الهواء عاليًا تقريبًا، واشتدت ضربات قلبه أكثر وكأنه كان قد رقد فى الغابة خلف شجيرة فى انتظار العملاق بيلجان وحاول إخراج حصوات زلط من جيبه حيث اعتاد حملها دائمًا، كى يصوب بالنبلة على العصافير التى التفت حول أمها تنقر فى نباتات الكرنب، ثلاث، أربع، خمس زلطات اضطر هو إلى وضعها إلى جوار عبوات القهوة الأربعة حتى ارتفعت الكفة التى بها الحجر زنة النصف كيلو وتطابق المؤشر أخيرًا وبدقة على الشرطة السوداء. أخذ جدى القهوة من الميزان وقام بلف الزلطات الخمس ووضعها فى منديله، وعندما جاءت جيرترود ومعها عبوة الكيلو الكبيرة المليئة بالبونبون اللاذع الطعم الذى كان لابد أن يكفى لمدة عام كالعادة، كى يبعث احمرار الفرحة فى وجوه الأولاد، وعندما

أخذت جيرترود ترج البونبون بصوت فى البطرمان كان الشاب الشاحب الصغير يقف هناك ولا يبدو أن أى شىء قد تغير. أخذ جدى ثلاث عبوات فقط ونظرت جيرترود مندهشة ومنزعجة للشاب الشاحب الذى ألقى بالبنبون اللاذع الطعم على الأرض ودهسه بقدميه وقال: "أريد التحدث مع السيدة باليك"، وقالت جيرترود "باليك فون بيلجان، تفضل".

حسنًا، السيدة فون بيلجان، غير أن جيرترود ضحكت عليه، بينما ارتد هو إلى القرية فى الظلام وأحضر القهوة إلى مستحقيها وإلى عائلة سيش وعائلة فايدلر وعائلة فولا ثم ادعى أنه مضطر إلى الذهاب إلى القس.

غير أنه انصرف فى جنح الليل ومعه الخمس زلطات فى المنديل، اضطر إلى الذهاب بعيدا حتى يجد أحدًا يمتلك ميزانًا، تمنى أن يمتلك واحدًا، ففى القريتين بلاوجاو وبيرنا لم يكن أحد يمتلك ميزانًا، هذا ما كان يعرفه، ثم سار خلالهما إلى أن وصل بعد ساعتين من السير على الأقدام إلى القرية الصغيرة ديلهايم حيث كان يسكن الصيدلى هونيش. وكان ينبعث من منزل هونيش رائحة عجة بيض مخبوزة طازجة، وكان تنفس هونيش عندما فتح الشاب المتجمد بسبب البرودة يفوح برائحة نبيذ ساخن والسيجار المبلل بين شفتيه غير الغليظتين، وهنا أمسك بشدة يدى الشاب الباردتين للحظة وقال: "ماذا، هل أصبحت حالة رئتى والدك أكثر سوءًا؟"

"لا، إننى لم أحضر من أجل دواء، كنت أريد..." قال جدى ثم قام بفتح صرة منديله، وأخرج الزلطات الخمس وعرضها على هونيش وقال: "أريد أن تزنها لى". ونظر خائفًا فى وجه هونيش ولكن عندما لم يقل هونيش شيئا ولم ينفعل ولم يتساءل قال جدى "إنها السبب فى غياب العدل"، ولقد شعر جدى الآن عندما دخل الحجرة الدافئة كيف كانت قدماه مبللتين، لقد تسلل الثلج إلى داخل الأحذية الرديئة الصنع وفى الغابة كانت أفرع الأشجار قد هزت فوقه الثلج الذى ذاب آنذاك، كما كان متعبا وجوعانا وبدأ فجأة فى البكاء حيث خطر بباله عش الغراب الكثير والأعشاب والزهور التى قد تم وزنها على الميزان ولم يراع العدل فى وزنها بمقدار زنة خمس زلطات، وعندما كان هونيش وهو يهز رأسه يمسك الخمس زلطات فى يده نادت زوجته، وهنا خطر ببال جدى جيل والديه وأجداده الذين كانوا جميعهم قد اضطروا إلى وزن عش الغراب وزهورهم على الميزان بهذا الوضع وانتابته موجة عارمة من عدم العدل وعاود من جديد البكاء بشكل أشد من ذى قبل، وجلس دون استئذان على أحد المقاعد فى حجرة هونيش وأغفل عجة البيض وفنجان القهوة الساخن الذى قدمته له السيدة هونيش البدينة الطيبة ولم يتوقف عن البكاء إلا عندما عاد هونيش بنفسه من المحل المقابل وهو يهز الزلطات فى يده وهمس لزوجته قائلاً: "عشرة جرامات ونصف بالضبط".

عاد جدى طيلة الساعتين خلال الغابة وأخذ يضرب نفسه فى المنزل وصمت عندما سئل عن القهوة ولم ينطق بكلمة وأخذ طوال المساء يراجع حساباته فى الورقة التى كان قد دوَّن عليها كل شىء، وعندما وصل الوقت منتصف الليل سمعت طلقات المدفع من القصر إعلانًا بذلك ويُدوِى الضجيج فى القرية بأكملها وأخذت اهتزازات لعب الأطفال تحدث نغماتها، وعندما كان أفراد الأسرة يقبلون ويعانقون بعضهم البعض قال هو من خلال الصمت التالى للعام الجديد: "إن أفراد عائلة باليك مدينون لى بثمانية عشر ماركا واثنين وعشرين بفينجا"، وأخذ ثانية يفكر فى الأطفال الكثيرين الذين كانوا يتواجدون فى القرية وفكر فى شقيقه فريتس الذى جمع الكثير من عش الغراب وفى شقيقته ليودميلا وتذكر المئات من الأطفال الذين كانوا جميعهم قد جمعوا عش الغراب لعائلة باليك، أعشاب وزهور ولم يبك هذه المرة ولكنه أخذ يحكى لوالديه ولإخوته وأخواته عن اكتشافه.

وعندما ذهبت أفراد عائلة باليك فون بيلجان خلال أعياد العام الجديد إلى الكنيسة لحضور الصلوات، حيث كان شعار النبلاء الجديد عملاق يجلس القرفصاء تحت شجرة الشربين لونه أزرق ذهبى وضعوه على سيارتهم، كانوا ينظرون فى الوجوه الصارمة الشاحبة للناس الذين كانوا جميعهم يحملقون فيهم. لقد تمنوا أن يكونوا فى انتظار أكاليل الزهور فى القرية وفى الصباح عزف موسيقى

وهتافات تمنيات بالرفعة والعافية، غير أن القرية لم يكن بها أى نوع من الحياة عندما ساروا خلالها، وفى الكنيسة اتجهت وجوه الناس الباهتة إليهم صامتة وعدائية، وعندما صعد القس على المنبر كى يلقى خطبة الحفل شعر ببرودة الوجوه التى لم تكن سوى صامتة وعدائية وحاول بصعوبة أن يتلجلج فى إلقائها وعاد إلى المذبح يتصبب عرقًا، وعندما غادر أفراد عائلة باليك فون بيلجان الكنيسة بعد صلوات الحفل ساروا متخللين صفًا مزدوجًا من أناس وجوههم صامتة شاحبة، غير أن السيدة باليك فون بيلجان الشابة بقيت فى الأمام واقفة عند أرائك الأطفال وبحثت عن وجه جدى فرانس بروشير الصغير الشاحب وسألته فى الكنيسة: "لماذا لم تأخذ معك القهوة لوالدتك؟" وهنا نهض جدى وقال: "لأنك مدينة لى بنقود كثيرة للغاية تقدر بثمن خمسة كيلوات قهوة"، ثم أخرج الزلطات الخمس من جيبه وأمسك بها أمام السيدة الشابة وقال: "كثير جدًا، كل نصف كيلو ينقص خمسة وخمسين جراما حسب ذمتكم"؛ وقبل أن تتمكن السيدة من أن تقول شيئا، ترنمت الرجال والنساء فى الكنيسة بأغنية: "عدالة الأرض قد قتلتك أيها الرب.

عندما كانت عائلة باليك فى الكنيسة كان فيلهيلم فولا المتعجرف قد دخل الحجرة الصغيرة وسرق الميزان وكذا الدفتر الكبير السميك المغلف بالجلد والمدون به كل كيلو من عش الغراب وكل كيلو زهور قش وكل شىء كانت عائلة باليك قد اشترته فى

القرية، وخلال فترة بعد ظهر عيد العام الجديد بأكملها جلس رجال القرية فى حجرة أجدادى الأولين وأخذوا يحسبون، يحسبون ما قيمته عُشر من كل ما تم شراؤه، ولكن عندما كانوا فعلا قد حسبوا آلافا كثيرة من العملة النقدية "تالير" وقبل أن ينتهوا من ذلك اقتحم رجال شرطة فى المنطقة حجرة جدى الأول وهم يطلقون النيران ويطعنون وأخرجوا الميزان والدفتر بالقوة، وخلال ذلك قُتلت لويدميلا الصغيرة شقيقة جدى وجُرح بعض الرجال ومات طعنا أحد رجال الشرطة على يد المتعجرف فيلهيلم فولا. كان يوجد أعمال شغب ليس فقط فى قريتنا ولكن أيضًا فى بلاوجاو وبيرنا ولم يهدأ العمل فى مصانع الكتان طيلة أسبوع تقريبًا، غير أنه كانت تأتى أعداد كبيرة جدا من رجال الشرطة تهدد الرجال والسيدات بالسجن، وقامت عائلة باليك بإجبار القس على عرض الميزان علنًا فى المدرسة وعلى إثبات أن مؤشر العدل يتذبذب بدقة. وعاود الرجال والنساء الذهاب لقطع الكتان غير أنه لم يذهب أحد إلى المدرسة لرؤية القس، كان يقف هناك بمفرده تمامًا قليل الحيلة وحزينا ومعه الحجارة أثقال الوزن والميزان وأكياس القهوة.

وعاود الأولاد جمع عش الغراب، عاودوا جمع الزعتر والزهور غير أنه كان كل يوم أحد وبمجرد أن تدخل عائلة باليك الكنيسة يتم البدء فى ترنيم أغنية: "عدالة الأرض قد قتلتك أيها الرب" إلى أن أوصى رئيس المنطقة بدق الطبول فى جميع القرى كى

يصبح ترديد هذه الأغنية محظورًا، لقد اضطر والدا جدى إلى ترك القرية حيث المقبرة التى وارت مؤخرًا ابنتهما الصغرى وأصبحا صناع سلال خيرزان ولم يمكثا طويلاً فى أى منطقة، لأنهما كانا يتألمان عندما يشاهدان كيف كان بتدول العدل يتوقف عند علامة الوزن الخطأ، كانا يجران معزة نحيلة خلف العربة التى كانت تزحف ببطء فوق الطريق الزراعى، وكل من كان يمر على العربة كان يستطيع أحيانًا سماع الترنيم بداخلها لأغنية "عدالة الأرض قد قتلتك أيها الرب". ومن كان يريد التنصت عليهم كان فى استطاعته سماع قصة عائلة باليك فون بيلجان التى كانت ذمتها تنقص بمقدار العُشر، غير أنه لم يحدث تقريبًا أن أحدا كان ينصت إليهم.

معطف الزنديق

بيرتولت بريشت

جيور دانو برونو هو رجل من نولا، الذى كانت سلطات التفتيش الرومانية قد أمرت فى عام ١٦٠٠ بحرقه فوق كومة الضالين بسبب إلحاده، يعتبر بمثابة رجل عظيم ليس فقط بسبب ادعاءاته الذكية والتى ثبت منذ ذلك الحين مصداقيتها عن تحركات مجموعة الأجرام السماوية، بل وأيضًا بسبب موقفه الشجاع فى مواجهة محكمة التفتيش التى قال لها: "إنكم تنطقون بالحكم ضدى ربما بدرجة خوف أكبر من سماعى له".

عندما يقرأ المرء كتاباته ويلقى إضافة إلى ذلك، نظرة على تقاريره الخاصة بظهوره العلنى فإن المرء لا يفتقر إلى أية مبررات ليصفه بأنه رجل عظيم، كما توجد حقيقة قصة ربما تستطيع إعلاء تقديرنا له، إنها قصة المعطف الخاص به.

لابد للمرء أن يعرف كيف سقط فى أيدى محكمة التفتيش.

قام مواطن من مدينة البندقية وهو بالتأكيد موتشينيو، بدعوة هذا العالم فى منزله كى يعطى له دروسًا فى الفيزياء وفن التذكر، قام بإعاشته على مدى بضعة أشهر وحصل مقابل ذلك على الدرس المطلوب، غير أنه بدل التعليم فى السحر المحرم الذى كان قد

استهواه، حصل فقط على تعليم فى الفيزياء ولم يكن راضيًا تمامًا عن ذلك لأن ذلك لم يحقق له أيه فائدة. إن المصروفات التى خصصها له مضيفه لم تجعله يشعر بالندم. لقد نَبَّههُ عدة مرات وبشكل جدى لأن يمده فى النهاية بالمعارف السرية والمفيدة التى لابد لرجل مشهور للغاية أن يمتلكها بالقطع، وعندما لم يحقق له ذلك أية مساعدة قام بتبليغ محكمة التفتيش عنه خطابيًا حيث كتب: إن هذا الإنسان السيئ الجاحد تحدث فى حضرته بالسوء عن المسيح وقال عن الرهبان إنهم حمير ويصيبون الشعب بالغباء، كما يدعى فضلاً عن ذلك بأنه على النقيض لما يوجد فى الإنجيل حيث لا يوجد سوى شمس واحدة ولكن يوجد شموس عديدة، إلى آخره، إلى آخره، ولذلاقام هو، موتشينيو، بحبسه فى غرفته السفلية وطلب أن يأخذه الموظفون بأقصى سرعة ممكنة، ولقد جاء الموظفون فعلاً فى منتصف ليلة يوم أحد إلى يوم اثنين وأخذوا العالم إلى معتقل محكمة التفتيش.

لقد حدث ذلك فى الخامس والعشرين من شهر مايو عام ١٥٩٢ صباحًا فى الساعة الثالثة، ومنذ هذا اليوم وحتى اليوم الذى صعد فيه كومة الضالين يوم ١٧ فبراير عام ١٦٠٠ لم يعد يخرج مواطن نولا أبدًا من المعتقلات خلال الأعوام الثمانية التى استغرقتها القضية الرهيبة، أخذ يناضل دون كلل من أجل حياته غير أن نضال العام الأول فى البندقية ضد تسليمه إلى روما ربما كان أكبر نضال ميئوس منه.

فى هذا الوقت حدثت قصة معطفه.

فى شتاء عام ١٥٩٢ حيث كان لا يزال آنذاك يسكن فى أحد الفنادق طلب من ترزى يدعى جابر بليه زونتو أن يأخذ مقاس معطف شتوى له، وعندما تم القبض عليه لم يكن قد قام بتسديد ثمن قطعة القماش، وبمجرد أن سمع عن عملية القبض أسرع الترزى بالذهاب إلى منزل موتشينيو فى منطقة سان صامويل لتقديم فاتورة الحساب غير أن ذلك كان متأخرًا تمامًا. اقتاده أحد خدم السيد موتشينيو إلى الباب وصاح بأعلى صوته على عتبة الباب حتى إن بعض المارة أخذوا يلتفتون من حولهم، حيث قال: "لقد دفعنا لهذا النصاب بما فيه الكفاية، لك أن تسرع فى الذهاب إلى محكمة السلطات الكاثوليكية المقدسة وتقول هناك إنك على علاقة بهذا الزنديق".

وقف الترزى مذعورًا وكانت شلة من شباب الحوارى قد سمعت كل شىء وقام أحدهم وهو صبى رث الثياب بإلقاء حجر عليه وخرجت سيدة بالية الملبس من أحد الأبواب وصفعته، غير أن زونتو وهو رجل عجوز شعر بوضوح بمدى الخطر الذى يصيب شخصًا على علاقة فى شىء بهذا الزنديق وأسرع الخطى وهو ينظر فى خجل حول نفسه إلى الناصية ثم فى اتجاه المنزل متخذًا طريقًا ملتويا طويلاً ولم يحك لزوجته شيئا عن تعاسته وأخذت هى تتعجب طيلة أسبوع لحالته النفسية السيئة.

ولكن فى الأول من شهر يونيو اكتشفت وهى تراجع الفواتير أنه يوجد معطف لم يسدد ثمنه رجل سيرته على كل لسان، حيث كان موطن نولا حديث المدينة وكانت أفظع الإشاعات عن سيئاته تلاحقه أنه لم يُندد فقط بالزواج فى كتبه وأيضًا فى أحاديثه، بل أساء أيضًا إلى المسيح نفسه وسَّماه دجَّالا وقال أشياء مخبولة عن الشمس، لقد كان ذلك يتناسب جدًا مع ما حدث فى أنه لم يكن قد دفع ثمن معطفه. إن الزوجة الطيبة لم يكن لديها أقل رغبة فى تحمل هذه الخسارة.

بعد شجار عنيف مع زوجها ذهبت الزوجة البالغة من العمر سبعين عامًا وهى ترتدى ملابس يوم الأحد إلى مبنى السلطة الكاثوليكية المقدسة وطلبت بوجه مشاكس مبلغ ثلاثة وعشرين سكودى وهو الدين المستحق لها لدى الزنديق.

قام الموظف الذى تحدثت إليه بتدوين مطلبها ووعد بمتابعة الأمر، وعلى وجه السرعة تلقى أيضًا زونتو استدعاء بالمثول أمام المحكمة وحضر فى المبنى الرهيب وهو يرتعش ويرتعد، وكانت دواعى دهشته هو أنه لم يتم التحقيق معه، بل تم فقط إفهامه بأنه سيتم مراعاة طلبه عند تسوية الشئون المالية للمقبوض عليه، غير أن الموظف أشار إلى أن طلبه لن يتحقق عنه خير كثير.

كان الرجل العجوز سعيدًا للغاية وانصرف شاعرًا بالإنصاف تمامًا إلى درجة أنه عبر عن شكره فى خشوع، فى حين لم تكن

زوجته راضية حيث لم يكن يكفى تعويض الخسارة ولا أن يتنازل زوجها عن كأس خمر مسائية تبقى معه إلى قرب حلول الليل، فقد كانت هناك ديون لابد من تسديدها لدى تاجر الأقمشة. أخذت تصرخ فى المطبخ وفى الفناء قائلة بأن من العار أن يتم القبض على مجرم قبل أن يكون قد سدد ديونه وأنها إذا اقتضى الأمر ستتوجه إلى روما حيث الباب المقدس كى تسترد نقودها وهى مبلغ الاثنين والثلاثين سكودى وصاحت قائله: "إنه ليس بحاجة إلى معطف وهو فوق كومة الضالين". حكت ما حدث لها ولزوجها إلى قس الاعتراف التابعين له ونصحها أن تطلب ما يعوضها عن ثمن المعطف على الأقل وقد رأت فى نصيحته اعترافًا من جانب سلطة دينية بأحقيتها فى مطلبها وأوضحت بأنها ليست راضية على أية حال بالمعطف الذى تم استخدامه بالتأكيد وتم فضلا عن ذلك تفصيله حسب المقاس. لقد أصرت على استرداد النقود، ولما كان صوتها قد ارتفع وهى تتحدث فى حماس، لذا فقد ألقى بها قس الاعتراف خارجًا مما أعاد لها رشدها بعض الشىء وتصرفت فى هدوء لبضعة أسابيع ولم يعد يتردد شىء خارج مبنى محكمة التفتيش عن قضية الزنديق المعتقل، غير أن الناس كانوا يتهامسون هنا وهناك عن أن التحقيقات كشفت عن أعمال مخزية رهيبة وأخذت المرأة العجوز تتنصت بشراهة على كل هذه الثرثرات الغبية، كان نوعا من العذاب بالنسبة لها أن تسمع أن وضع الزنديق سيئ للغاية، فإنه لن يطلق سراحه أبدًا ولن تكون

هناك إمكانية لتسديد ديونه ولم تعد تنام ليلة واحدة، وفى شهر أغسطس عندما دمرت الحرارة أعصابها تمامًا بدأت فى الثرثرة عن شكواها فى المحلات التى كانت تتبضع منها ومع الزبائن الذين حضروا لقياس الملابس، هناك أشارت إلى أن القداسة قد ارتكبوا خطيئة عندما رفضوا دون اكتراث المطالب العادلة لصاحب حرفة بسيط، بالإضافة إلى أن الضرائب كانت ضاغطة وكان ثمن الخبز قد عاود الارتفاع مؤخرًا من جديد.

فى فترة قبل ظهر أحد الأيام أحضرها موظف إلى داخل مبنى السلطات الدينية الكاثوليكية وهناك حذروها صراحة بالكف عن ثرثرتها الشريرة وسألوها عما إذا كانت لا تستحى من الخوض بغباء فى قضية دينية جادة بسبب حفنة سكوديات، أفهموها أن هناك وسائل كثيرة للتصدى لأناس على شاكلتها.

ولقد ساعد مرور الوقت فى ذلك عندما كانت كل مرة ترتفع حمرة الغضب فى وجهها مع التفكير فى عبارة "من أجل بضعة سكوديات" التى كان يتفوه بها كل مرة الأخ البدين الممتلئ، ولكن فى شهر سبتمبر قيل بأن كبير محكمة التفتيش فى روما طالب بتسليم المتهم من مدينة نولا وأن هنا مفاوضات فى هذا الشأن مع حكومة المدينة.

وأخذ المواطنون يناقشون باهتمام بالغ طلب التسليم هذا وكان الشعور عدائيا بصفة عامة ولم تكن النقابات العمالية ترغب فى أن تعرف أية محكمة رومانية شيئا عنها.

كانت السيدة العجوز فى غير وعيها، هل يراد حقيقة ترك الزنديق الآن يذهب إلى روما دون أن يكون قد سدَّد ديونه؟ لقد كان ذلك قمة تصعيد الأمر، إنها لم تكن قد سمعت بالكاد هذا الخبر غير المعقول عندما راحت دون أن تتحلى بالتريث ولو بالانتظار بعض الوقت لترتدى أفضل جونلة وتسرع إلى مبنى السلطة المدنية الكاثوليكية.

لقد قوبلت هذه المرة من موظف رفيع المستوى، وبشكل ملفت زاد فى الترحيب بها أكثر من الموظفين السابقين، لقد كان عمره يتقارب تقريبا من عمرها وسمع الشكوى فى هدوء واهتمام، وعندما أنهت حديثها سألها بعد فترة راحة قصيرة عما إذا كانت تريد التحدث مع برونو فوافقت على الفور، وتم ترتيب لقاء فى اليوم التالى.

قبل ظهر هذا اليوم واجهها فى حجرة ضئيلة نوافذها محكمة بالأسوار رجل نحيف صغير القامة لحيته داكنة وخفيفة استفسر فى أدب عن مطلبها، كانت قد رأته آنذاك عند أخذ مقاسه انطبع بشكل جيد فى ذاكرتها طوال الوقت كل شيء عن وجهه غير أنها الآن لم

تتعَّرف عليه بسرعة ولابد أن انفعالات التحقيقات قد أحدثت تغيرًا عليه.

قالت فى عجالة: "المعطف. إنك لم تدفع ثمنه".

أمعن النظر إليها مندهشًا لبضع ثوانٍ. ثم أخذ يفكر وقال بصوت منخفض: "بماذا أنا مدين إليك؟"

فقالت هى: "بمبلغ اثنين وثلاثين سكودى، ولقد وصلتك الفاتورة بالقطع، وهنا أدار نفسه فى اتجاه الموظف البدين الضخم الذى يراقب الحديث وسأله عما إذا كان يعرف كمية النقود التى تم التحفظ عليها مع متعلقاته الأخرى فى مبنى السلطة الدينية الكاثوليكية، غير أن الرجل لم يكن يعرف ذلك ووعد بالتأكد منها.

ثم اتجه السجين ثانية نحو المرأة العجوز وكأن الموضوع بذلك سيأخذ مجراه لدرجة أنه ينبغى أن تعود العلاقات إلى طبيعتها وتتوفر الظروف لزيارة طبيعية حيث سألها: "كيف حال زوجك؟" وارتبكت المرأة العجوز بسبب لطف الرجل الضئيل الحجم وتلعثمت قائلة بأن زوجها على ما يرام كما أنها أضافت لتحكى بعض الشيء عن الروماتيزم الذى يعانى منه.

إنها لم تذهب ثانية إلى مبنى السلطة الدينية الكاثوليكية إلا بعد مرور يومين حيث بدا لها أن تتعقل وتترك للسيد السجين الوقت حتى يصله رد على استفساره.

وحدث بالفعل أن حصلت هى على إذن بالتحدث معه مرة أخرى واضطرت بطبيعة الحال أن تنتظر أكثر من ساعة فى الحجرة الضئيلة بنافذتها المحكمة بالأسوار، فقد كان هناك تحقيق معه.

حضر وكان يبدو منهكا تمامًا، وبسبب عدم وجود مقعد اتكأ قليلا على الحائط ورغم ذلك فقد دخل فى موضوع الحديث على الفور.

قال لها بصوت ضعيف للغاية بأنه للأسف غير قادر على دفع ثمن المعطف ولم تتواجد أية نقود ضمن متعلقاته، غير أنها لا تزال لا يصح لها أن تفقد كل الآمال، فقد راجع تفكيره وتذكر أنه لابد أن تكون له نقود لدى رجل قام بطبع كتب له فى مدينة فرانكفورت وهو يريد أن يكتب إليه إذا سمح له بذلك وأنه سيقوم فعلا بتقديم طلب غدا للسماح له ولم يحدث له اليوم بسبب التحقيق أى شىء معين يعكر صفوه ولذلك فلم يرغب فى السؤال وتنغيص الصفو.

أمعنت المرأة العجوز النظر إليه بعينيها الحادتين عندما كان يتحدث ليتأكد لها تبريرات ومماطلات المدينين المتلكئين إنهم لا يكترثون بالتزاماتهم ولكن عندما يواجهون ضغوطا عليهم فإنهم يبدون وكأنهم يسعون جاهدين لتحقيق كل شىء ممكن.

وسألت هى بعنف قائلة: لماذا كنت أنت فى حاجة إلى معطف طالما لم يكن لديك نقود لدفع ثمنه؟

أومأ السجين كى يُظهر لها أنه كان يتابع سير أفكارها وأجاب: "إننى كنت أتكسب دائما من الكتب والتدريس، وهكذا فكرت أننى أتكسب أيضا الآن واعتقدت أننى بحاجة إلى المعطف، لأننى اعتقدت أننى قد أستمر فى التحرك بحرية".

قال ذلك دون إبداء أية مرارة ولكن علانية فقط، كى لا تبقى مدينة بالرد عاودت المرأة العجوز تدقيق النظر إليه من أعلى إلى أسفل والغضب يملؤها ولكن دون أن تشعر بالرغبة فى الاقتراب منه ودون أن تنطق أيضا بكلمة ثم استدارت وسارعت خارجةً من الغرفة.

وعندما كانت راقدة فى الفراش هذه الليلة صرحت لزوجها فى غضب قائلة: "من سيرسل نقودا إلى رجل تقاضيه محكمة التفتيش". لقد استسلم زوجها الآن لموقف السلطة الدينية منه، غير أنه أنقص من جدوى المحاولات المضنية لزوجته فى استرداد النقود.

همهم الزوج قائلاً: "إن الرجل يضطر الآن إلى التفكير فى أمور أخرى" لم تعد الزوجة تعلق على أى شيء.

مرّت الشهور التالية دون أن يكون قد حدث أى شيء جديد فى هذا الأمر المؤسف، ومع بداية شهر يناير قيل بأن حكومة المدينة تنشغل بفكرة الانصياع لرغبة البابا وتسليم الزنديق، ثم جاء طلب استدعاء جديد لعائلة زونتو للمثول فى مبنى السلطة الدينية

الكاثوليكية. لم يكن قد تحدد ساعة معينة وذهبت حرم زونتو بعد ظهر أحد الأيام إلى هناك ولكن ليس فى ميعاد محدد، وانتظر السجين زيارة كبير الموظفين الحكوميين فى الجمهورية حيث كانت قد طلبت منه حكومة المدينة إعداد تقرير عن موضوع التسليم.

استقبلها كبير الموظفين الذى كان قد رتب أول حديث لها مع سجين بلدة نولا، وقال لها كبير الموظفين العجوز بأن السجين قد رغب فى الحديث معها، ولكن ينبغى عليها أن تفكر عما إذا كان اختيار الميعاد يناسبها حيث إن السجين يقف مباشرة أمام مؤتمر غاية الأهمية بالنسبة له.

قالت باختصار إنهم يريدون الحديث معه ليس إلا.

انصرف أحد الموظفين ثم عاد ومعه السجين، وتم الحديث فى حضور كبير الموظفين.

قبل أن يتمكن مواطن نولا الذى ابتسم لها عند الباب من أن يقول شيئا. انطلقت المرأة العجوز فى الحديث قائلة: لماذا تسلك إذن هذا السلوك، إذا كنت تريد إطلاق سراحك.

وبدا على الرجل الضئيل الحجم الارتباك للحظة، لقد كان خلال الربع عام هذا قد أجاب عن العديد من الأسئلة، وقلما يحتفظ فى ذاكرته بنهاية آخر حديث له مع زوجة الترزى.

قال أخيرا: لم يصلنى أية نقود ولقد كتبت مرتين فى هذا الشأن غير أنه لم يصلنى شىء، وفكرت فى إمكانية أن تستردى المعطف.

وردَّت هى باحتقار قائلة: "لقد عرفت حقا أن الأمر سيئول إلى ذلك كما أنه تم تفصيله حسب مقاس معين وهو ضيق تمامًا ولا يناسب أغلبية الناس".

نظر مواطن نولا فى حرج إلى المرأة العجوز وقال وهو يتجه إلى رجال الدين: "إننى لم أفكر فى ذلك، ألا يمكن بيع كل متعلقاتى وتسليم النقود إلى هؤلاء الناس".

وهنا تدخل فى الحديث ذلك الموظف البدين الضخم الذى كان قد أحضره فقال: "إن ذلك لن يكون ممكنًا، إن الأمر يرجع إلى السيد موتشينيو، لقد عشت طويلا على أمواله".

رفع العجوز يده قائلا: "إن ذلك لا علاقة له حقًا، إننى أفكر فى أنه ينبغى إرجاع المعطف".

وقالت المرأة العجوز فى عناد: "ماذا ينبغى علينا أن نفعله معه؟".

احمر وجه العجوز قليلا ثم قال ببطء: "سيدتى العزيزة، إن بعض التسامح الدينى لن يعود عليك بسوء، إن المتهم ينتظر تحقيقا يمكن أن يكون بالنسبة له مسألة حياة أو موت، إنك لا تستطيعين أن تطلبى منه أن يأبه كثيرا لمعطفك".

نظرت إليه المرأة العجوز فى اضطراب وتذكرت فجأة أين تتواجد الآن وفكرت فى إمكانية الانصراف إلا أنها سمعت السجين يلاحقها قائلاً بصوت منخفض: "إننى أعنى أنها يمكنها طلب ذلك".

وعندما التفت متوجهًا إليها أضاف قائلاً: "يجب عليك أن تعتذرى عن كل شىء، لا تفكرى بأى حال من الأحوال فى أن خسارتك لا تعنينى فى شىء، إننى سأتقدم بطلب كتابى بخصوص الموضوع".

وكان البدين قد خرج من الحجرة إثر إماءة من العجوز، ثم عاد وبسط ذراعيه وقال: "إن المعطف لم يتم تسليمه على الإطلاق ولابد أن الموتشينيو قد استردَّه.

انزعج مواطن نولا بشكل واضح ثم قال فى ثبات: "إن هذا ليس عدلا إننى سأقاضيه".

هزَّ العجوز رأسه وقال: "من الأفضل أن تنشغل بالحديث الذى سيتم الإدلاء به خلال بضع دقائق، إننى لا أستطيع أن أسمح طويلا بأن يحدث نزاع هنا من أجل بضعة سكوديات".

اندفع الدم عاليًا فى رأس المرأة العجوز، كانت قد صمتت بينما كان مواطن نولا يتحدث وأخذت تنظر متذمرة فى أحد أركان الحجرة، غير أنها الآن قد فقدت صبرها.

صاحت قائلة: "بضعة سكوديات، إنها تعادل إيراد شهر! إنك يمكنك أن تتسامح بسهولة، لن تصاب بأية خسارة!".

فى هذه اللحظة تقدم إلى الباب راهب يافع وقال بصوت شبه مرتفع وهو يتعجب ناظرًا إلى المرأة الصائحة: "لقد وصل النائب العام". أمسك البدين الضخم بذراع مواطن نولا واقتاده إلى الخارج، ونظر السجين إلى الخلف عبر كتفه النحيل إلى المرأة حتى اقتادوه عبر العتبة، لقد كان وجهه الهزيل شاحبًا تمامًا.

نزلت المرأة العجوز مرتبكة على السلم الحجرى للمبنى ولم تعد تعرف فيما ينبغى أن تفكر، لقد فعل الرجل أخيرًا قدر استطاعته.

لم تذهب إلى الورشة إلى أن أحضر البدين الضخم المعطف بعد ذلك بأسبوع، غير أنها تنصتت عند الباب حيث سمعت الموظف يقول: "فى الحقيقة إنه ظل مشغولاً بموضوع المعطف طيلة الأيام الأخيرة بأكملها وتقدم بطلب مرتين خلال التحقيقات وعاود الأحاديث مع سلطات المدينة وطالب مرات عديدة ترتيب حديث له فى هذا الشأن مع الممثل البابوى لدى الحكومة وتحقق له ذلك واضطر الموتشينيو إلى إرجاع المعطف، لقد كان من الممكن أن يحتاج إليه كثيرا الآن حيث سيتم تسليمه وإرساله إلى روما هذا الأسبوع".

وتحقق ذلك وكان فى نهاية شهر يناير.

الذئاب تعود

هانس بندر

. كان يطلق على القرية منذ الثورة اسم كراسنا شيرى وكانت تبعد مسافة خمسين فرسخًا عن المدينة التالية لها وسط غابات شاسعة يقطعها طريق يمتد من جهة الغرب إلى الشرق. أحضر عمدة كراسنا شيرى سبعة أسرى من معسكر المدينة حيث كان يستقل حنطورًا بعجلتين ومربوطا فى عامود عريشه حصان تكسوه بقع من العرق. كان العمدة يمسك بين ركبتيه بندقية لها ماسورة طويلة وناشنكاه يكسوه الصدأ وكان يوجد فى الصندوق خلف المقعد جوال المئونة الخاص بالأسرى المليء بالخبز والملح بالإضافة إلى ذرة مجروشة وبصل وسمك مجفف.

كان الأسرى يسيرون يمينًا ويسارًا على شريط الأرض الموجود بين عجلتى الحنطور وحافة الحقول، وعندما بدأ الطريق يصب فى الغابة الأولى ترجّل العمدة ولف اللجام حول مسند الظهر وأخذ يسير خلف الأسرى.

كانوا يؤقلمون أنفسهم على طريقة سير الحصان وكان جميع الأسرى يسيرون ببطء يطأطئون رءوسهم إلا واحد منهم فكان يرفعها معتدلة يديرها إلى هنا وهناك فى حب استطلاع مثير للشبهات.

وفكر العمدة قائلاً: إننى أمتلك سلاحًا وهم بغير سلاح إلا أن سلاحى ليس..."، توقف الأسير عن السير وجعل الثلاثة الذين كانوا يسيرون خلفه يسبقونه حتى أصبح هو فى محاذاة العمدة.

قال الأسير "طاب يومك".

منذ الحرب العالمية الأولى لم يعد العمدة يرى أناسا من الألمان، غير أن هؤلاء الألمان يختلفون عن الألمان آنذاك ولاحظ أن الأسير كان شابا وكانت له عينان فى لون المياه الزرقاء النقية.

سأل الأسير: "هل توجد ذئاب فى الغابة؟"

وفكر العمدة فى السؤال حيث كان حقا سؤالا طبيعيا وقال: "ذئاب؟"

أجاب العمدة قائلاً: "ذئاب؟ كان يوجد ذئاب أما الآن فلم تعد توجد أية ذئاب لقد طردتوها بسبب حربكم، لقد هرعت إلى سيبيريا، لقد كانت الغابة من قبل تموج بالذئاب ولم يكن أحد يجرؤ على السير بمفرده فى هذا الطريق شتاء، نعم لقد رأيت آخر مجموعة من الذئاب فى أول شتاء سنوات الحرب عندما كانت مدافع فوشنى فالوتشيك تدوى فى اتجاهنا.

وقال الأسير: "لقد مرت خمسة أشهر على نهاية الحرب وربما أن الذئاب قد تمكنت فعلا من العودة"، وقال العمدة: "إن الأفضل لهم أن يبقوا حيث هم، فى سيبيريا، هناك فى سيبيريا حيث المكان

المناسب لهم. ظل الأسرى والعمدة يسيرون حتى المساء فى الطريق الممتد من الغرب إلى الشرق مخترقين الغابات، وكان مظهر الغابات يتلاشى أحيانا عندما كان يقطعها مرعى أو شريط من الأرض الجرداء ذات الشجيرات العجفاء ثم تبدأ غابة من جديد، غابة مضطربة غير متناسقة الأرجاء تكسوها الشجيرات المتدانية النحيلة، ومن كراسنا شيرى خرج الأهالى من المنازل ووقفوا فى بؤس أمام الأبواب وهنا قام العمدة بتوزيع الأسرى حيث قام بتسليم واحد لكل منزل، أما الأسير الشاب الذى كان قد سأل عن الذئاب واستطاع التحدث بالروسية فقد أخذه معه إلى بيته.

وهناك على المنضدة كانت توجد لمبة زيت يجلس فى نورها صبى وفتاة وكانا ينظران بحدقتين مستديرتين ناحية الباب حيث كان الأسير ينتظر عند العتبة.

وهنا خرجت سيدة من باب الحجرة المجاورة تحمل فى يديها خبزًا وسكينًا وبينما كان العمدة يخلع معطفه الفرو تحدث قائلاً: إنه يدعى مكسيم، وهنا ذهب الأسير إلى الأطفال عند المنضدة حيث كانت هناك أمامهم كتب مفتوحة، حروفها الهجائية مكتوبة بخط اليد وبها صور طباعتها غائرة.

قال الأسير: ما اسمكما أنتما الاثنان؟ نهض الصبى مسرعًا وأزاح بيده الكتاب من على المنضدة بقوة إلى درجة أنه سقط على

الأرض ثم اتجه ناحية ركن الحجرة وأدار ظهرة للأسير بينما نظرت الفتاة إلى أعلى وهى تبتسم.

"ما اسمك؟".

"يوليا": قالت الفتاة.

فقال الأسير: "يوليا، إنه اسم جميل".

وقالت الفتاة: "وهو اسمه نيكولاى".

وضعت السيدة الخبز على المنضدة وإلى جواره طبقين مليئين بالشوربة، جلس العمدة وجلس الأسير، حيث أخذا ينفخان فى الملاعق ويأكلان أما السيدة فقد ظلت واقفة أمام لهيب الموقد المفتوح وأخذت تتفوه بين الحين والآخر ببعض العبارات عن العمل والطعام وعن الجيران والطقس. عاد الصبى إلى المنضدة والتقط الكتاب وجلس عند حافتها حيث بدأ يطالع بصوت شبه مرتفع "سلام على والد كل الأطفال فلاديمر إيليتش لينين – سلام على والد كل الطلائع الصغار يوسف فيسار يونو فينش ستالين" وكان يوجد فوق رأس الصبى ورق ذهبى اللون يتوهج وهو يحيط بملاك الثالوث المقدس.

وفى الصباح ذهب الأسرى وفلاحو الكلخوزيات والفتيات إلى الحقول حيث أخذ العمدة بمساعدة المحراث والحصان ينتزع كتل الأرض الصلبة كالزجاج، وكان الماء متجمدًا فى الشقوق والقشرة

الثلجية تتناثر، كانت البطاطس باردة وأخذ الأسرى والفتيات يضربون أيديهم فى إبطهم بينما يخرج النفس بخارًا أمام الأفواه.

صعدت الشمس فوق الغابات عاليًا وشقت طريقها فى السماء الزرقاء المائلة إلى الخضرة الصافية كالحرير، تلك السماء التى تمتد بعيدًا عن الآفاق القريبة وتحتها تتحرك الغربان فى خطوط غير منتظمة وكأنها تكتب حروفًا روسية غريبة الشكل.

كانت القرية تقع وسط حقول مكشوفة تحيطها الغابات من جميع الجهات، وكان الطريق إلى الشرق ينساب خلالها فى شكل شريط رفيع، كان الأطفال يشقون الطريق وتظهر ضآلتهم من على بعد بينما ترن أصواتهم قريبة وكأنها أصوات فناجيل تهتز على صينية.

وقالت سيدة إلى الأسير الشاب: إنهم يذهبون إلى المدرسة خلف الغابة حيث تقع قرية روسونو وهى أكبر من كراسنا شيرى.

وسأل الأسير قائلاً: هل يوجد أيضا بينهم كل من يوليا ونيكولاى؟

أجابت السيدة: نعم إنهما بينهما.

لوّح الأسير ولوّحت الأطفال، كانوا يؤرجحون أكياس كتبهم وكانوا يرتدون طواقى من الفرو وجاكتات قطنية يتعذر بسببها معرفة من يوليا ومن نيكولاى، فهم جميعا يلوحون بينما كانوا فى طريق

العودة من هناك، كانت الشمس تبدو وكأنها فى غابات الجانب الغربى حيث كان هناك حقل كبير تم حصد محصوله ورفع الأجولة والغلال منه، كما أن جميع من أنجزوا عملهم عادوا متعبين تئن ظهورهم من الألم ووجوههم باردة فى شوق إلى الحجرة والنار والحساء الدافئ.

عاد الأطفال يجلسون عند المنضدة خلف كتبهم المفتوحة.

قالت يوليا: مكسيم، لقد رأينا آثار أقدام ذئاب.

وسأل العمدة قائلاً: ماذا رأيتم؟

فقالت يوليا: لقد رأينا آثار أقدام ذئاب.

ومن الذى رآها؟

لقد رأتها سبريديون أولا ثم كاترينا ثم أنا وبعدنا نيكولاى

وقال نيكولاى: لقد رأيتها قبلك.

فقال العمدة: لقد رأيتم آثار أقدام أرانب.

فقالت يوليا: لا، لقد كانت أكبر حجما، ثقوب غائرة واضحة كبيرة فى حجم التفاح وفى المقدمة كانت المخالب مطبوعة فى الأرض.

وكيف كان يبدو أثر الأقدام يا نيكولاى؟.

كما قالت يوليا، مثل التفاح والمخالب أيضا.

فقال العمدة: "غير معقول إن الذئاب فى سيبيريا. إننا نريد تناول الطعام الآن"

قبل جنى محصول الحقل الأخير سقط الجليد وظل المخراث غائرًا فى باطن الأرض المتجمدة وبقى الأسرى مع من يسكنون عندهم، تروح بهم الأفكار بعيدًا دون طائل، كان الأطفال فى المدرسة وكان العمدة وزوجته يجلسان حول المنضدة أما الأسير فكان يقف عند النافذة وينظر إلى الحقول حيث تهوى الأهداب الثلجية فى حركة دوَّارة.

قال العمدة: "إذا كان الطقس سيستمر باردًا على هذا الحال سنقوم باكر بتقطير نبيذ سارما جونكا – ما رأيك فيه يا مكسيم؟"

"ولم لا ؟"

فقال العمدة: "حسنا سنعمل سارما جونكا.

قالت المرأة: إننى لا أهوى سارما جونكا غدًا.

ورد العمدة قائلاً: "كما لاينبغى عليك أن تشربيه ومن الأفضل أن يحتسيه مكسيم وأنا، وفجأة ظهر حيوان يقف أمام النافذة على الهضبة وسط دوامة الجليد، حيوان نحيف عالى المنكبين غليظ الرأس، عيناه مائلتان يشبه الكلب لكنه ليس كلبًا.

"ها هو" لقد كانت صيحة الأسير تمتلئ بمزيد من الدهشة والفزع والخوف حتى إن العمدة وزوجته هرعا مسرعين إلى النافذة وأخذا يشاهدان على الفور كيف التف الحيوان إلى الخلف واختفى وسط الجليد الدوّار.

وقال العمدة: "نعم إنه ذئب.. هكذا يبدو، لقد كان الأطفال على حق".

وصاحت الزوجة: "والأطفال الآن فى طريقهم إلى المنزل".

قال العمدة: "الذئب هنا والأطفال هناك"، غير أن ذلك ليس دليلا على أن الذئب يشكل خطرًا؟

وقال الأسير إن لديكم بندقية بالتأكيد فلماذا لا نذهب خارجًا؟

"بندقيتى...".

فقالت الزوجة: "إنها ليست بها ذخيرة".

وقال العمدة وهو يلعن فى غضب "ليتك...".

قالت الزوجة: "إن أى ذئب لا يأتى بمفرده أبدًا".

قال العمدة: ليس عندى طلقات يامكسيم، إنهم فى المدينة لم يعطونى أية طلقات لا فى الخزنة ولا فى صندوق الذخيرة، لم أكن أريد أن تعرفوا ذلك أيها الأسرى، إذن فلنأخذ معنا فأسًا وبلطة ومحشة أو عصا، إنك لا تعرف خطورة الذئاب يا مكسيم ولكن فلتأت

معنا إذا شئت. قام العمدة بإحضار فأس ومحشة من الكوخ الخشبى المجاور وشقوا الطريق فى اتجاه الشرق وعندما وصلوا إلى المرتفع لاحظوا أنهم لم يرتدوا أية معاطف، لقد رفعوا المحشة والفأس أمام أجسادهم فى وضع استعداد للقطع والحش والضرب، وكانت الغربان تطير مخترقة الجليد الدوّار فى جماعات كثيرة العدد على ارتفاع منخفض من سطح الأرض وكانت تثير الرعب بطيرانها أمام رءوس الرجال دون إصدار أية صيحات.

كان العمدة يلتقط أنفاسه بصعوبة وتتعلق ندف الثلج بحاجبيه وعلى لحيته فكان يبدو كالرجل العجوز وهنا قال: "من المفروض أن يكون الأطفال قد وصلوا إلى هنا فعلا".

ثم أخذوا يواصلون السير حيث كان الهدوء يخيم على المكان، اللهم إلا حفيف الثلج، وهنا سمعوا أصوات الأطفال بعيدة فصاح العمدة قائلاً: يوليا! نيكولاى!

وصاح الأسير أيضًا قائلاً: يوليا! نيكولاى! ثم نادى الأطفال.

سار العمدة والأسير بخطى أسرع وأسرع الأطفال فى السير وهرعوا يحتمون وسط الرجال مثل الدجاج المفزوع لنباح الكلب فيه. طارت يوليا ونيكولاى، كاترينا وليودميلا وسينا وستيفان، ألكساندر وإيفان نيكيتا وسبيريديون، عشرة أطفال يرتدون الطواقى الفرو والجاكتات القطيفة، حاملين صرر الكتب فى أيديهم المتجمدة

الأطراف، أخذوا يتحدثون فى هرع عن الذئاب فى الغابة والخشب المكسور وعن الهول وكثافة أثار الأقدام فى الثلج المتساقط حديثًا.

وبينما كان العمدة والأسير والأطفال يستعدون لشق طريقهم وهم يتحدثون أتت الذئاب، وفى البداية رأوا أعينها. وعيونها تسجل الخطر والكآبة على ستار الثلج، ورءوسها ترتفع عاليا حيث آذانها المتجمدة والتيجان ذات الفراء المتصلب حول أعناقها وأجسادها المنتفخة الرمادية اللون كالأسمنت والذيول الكثيفة الشعر التى كانت تبرز كالخوابير من بين العشب فوق الحقول شمالى الطريق. لقد ابتلع الأطفال الكلمة الأخيرة والتصقوا فى ظهور الرجال ورفع العمدة الفأس عاليا ورفع الأسير المحشة عاليا واقشعر جلد الرأس وتميعت الأفكار، هرولت الذئاب بمحاذاة الطريق مارة أمامهم فى صمت مثل كلاب الصيد المُهاجة، صف يتلوه صف آخر وظهور إلى جانب ظهور، بدون صوت وعالية السيقان، لاشك أن كل جماعة كانت تعقبها جماعة أخرى وثالثة غير مرئية تتوه وسط دوامة الثلج، مئات الجماعات بل آلاف الجماعات وكانت هناك بعض الذئاب تمر على مقربة تمامًا لدرجة أن المرء كان يرى الضلوع والعظام والعضلات تحت الفرو الأجرب كما كانت ألسنتها الحمراء تتدلى طويلا خارج أفواهها، وربما لو زأرت هذه الذئاب أو نبحت لكان ذلك أهون من هذا المرور المخيف الصامت لمثل هذه الحيوانات المتوحشة، لقد

دفعهم الجوع، لقد أعماهم الجوع عن الغنيمة التى تتواجد على مقربة من آثار أقدامهم.

هكذا زحفت جيوش إلى داخل مدن الأعداء خلال جدران الصمت والاحتقار والكراهية، توارت الناس بعيدا عنهم وأطفئت الأنوار، كتمت أنفاسها وأغمضت أعينها واعتقدت أن دقات قلوبها تخترق الجدران ويستطيع سماعها من بالخارج فيندفعون على أثرها من خلال الباب، وهنا تضيء الطلقات الطائشة متجهة إلى داخل الحجرة المظلمة.

ازدادت الظلمة بينما لايزال جيش الذئاب لم ينته بعد، كم استمر مرورهم هذا طويلاً؟ وكم كان عددهم؟ استغرق ساعات لقد كانوا كل ذئاب سيبيريا.

ثم جاءت آخر مجموعة من الذئاب تجر أذيالا خلف الجماعات، كانت حيوانات مريضة هزيلة وأخرى شابة يصعب عليها رفع كفوف أقدامها النحيلة.

لقد خيم الليل على العمدة والأسير، والأطفال ظلوا طويلا لايستطيعون الابتعاد عن بعضهم أو التحرك أو التحدث.

وكان العمدة أول من تحدث فقال:

"الذئاب تعود، إنها تشمّ رائحة السلام".

لقاء لا أمل فيه

يوهان بيتر هيبل

إنها قصة كتبها وبكى لها مؤلفها
وهو يطالعها أمام رفاقه ومُحبيه

فى بلدة فالون بالسويد ومنذ ما يقرب من خمسين عاما أو يزيد قام عامل منجم شاب بتقبيل خطيبته الجميلة الشابة وقال لها: "فى عيد القديسة لوتسيا ستبارك يد القس حبنا ثم نصبح زوجا وزوجة نبنى لأنفسنا عشنا الصغير"، وفى ابتسامة رقيقة أضافت الخطيبة الجميلة قائلة: "وينبغى أن يعيش فيه سلام وحب لأنك وحيدى وكل شىء لى وبدونك أود أن أكون فى القبر فسيكون أفضل لى من أى مكان آخر".

وعندما نادى القس عليهما أمام القديسة لوتسيا فى الكنيسة وقال: "هل من أحد يعلن عن معرفته لعائق يكون سببا لئلا يصبح هذان الشخصان زوجين شرعيين" فلم يكن رد سوى الموت، وحدث فيما بعد أنه عندما كان الشاب وهو يرتدى الزى الأسود لعمال المناجم حيث تعود دائما ارتداء زى الموت هذا، يمر فى اليوم التالى على منزلها قام بالخبط كعادته على نافذتها وألقى تحية صباح الخير عليها ولكنه لم يعد ليلقى عليها تحية المساء لأنه لم يعد أبدًا من المنجم، وكانت هى فى الصباح نفسه قد قامت دون جدوى بتفصيل

رباط عنق أسود حافته حمراء وذلك استعدادًا ليوم الزفاف ولأنه لم يعد أبدًا، لذا فقد ألقت بالرباط جانبًا وأخذت تبكيه وظلت لا تنساه إلى الأبد.

ومع مرور الزمن حدث أن دُمرت مدينة لشبونة فى البرتغال بفعل الزلزال وانتهت حرب السبع سنوات ومات القيصر فرانس الأول، وتم التوقف عن منح وسام الجيزويت وتقسمت بولندا وماتت القيصرة ماريا تريزيا وتم إعدام شترويزيه وتحررت أمريكا، وتمكنت القوة الفرنسية الإسبانية المتحدة من غزو جبل طارق وتم محاصرة الجنرال شتاين فى مغارة المحاربين القدماء، كما مات القيصر جوزيف وقام الملك جوستاف ملك السويد بغزو فنلندا الروسية وبدأت تندلع كل من الثورة الفرنسية والحرب الطويلة، كما توفى أيضا القيصر ليوبولد الثانى وقام نابليون بغزو بروسيا، وضرب الإنجليز كوبنهاجن بالقنابل، وكالعادة استمر الفلاحون فى البذر والجنى والطحان فى الطحن والحداد فى الطرق وعمال المناجم فى التنقيب عن طبقات المعادن فى ورشتهم تحت الأرض.

إلا أنه عندما أراد عمال المناجم فى فالون عام ١٨٠٩ قبل أو بعد عيد يوهانيس بقليل عمل فتحة بين بئرين بعمق يزيد بقليل عن ثلاثمائة ذراع تحت سطح الأرض أخرجوا من بين الأنقاض والمياه المعدنية جثة شاب تغطيه طبقة معدنية حديدية، ولم تكن الجثة قد تآكلت أو تغير شكلها حتى إن المرء كان لايزال فى استطاعته

التحقق تمامًا من ملامح وجهه وتحديد عمره وكأنه لم يمت إلا منذ ساعة مضت، أو ربما أن النعاس قد أخذه قليلا وهو يمارس عمله، وعندما تم عرضه فى ضوء النهار لم يفكر أى إنسان – حيث كان الوالد والوالدة والأصدقاء والمعارف قد ماتوا منذ زمن بعيد – فى التعرف على الشاب النائم أو معرفة أى شىء عما ألم به من مصيبة، إلى أن جاءت الخطيبة السابقة لعامل المنجم الذى ذهب يومًا ما إلى وردية عمله ولم يعد أبدًا، لقد حضرت إلى المكان مُكتئبة وقد علا الشيب رأسها وهى تستند على عكاز، وهنا تعرفت على خطيبها حيث ارتمت على الجثة المحببة إلى قلبها وكانت قريرة العين وفرحة أكثر من كونها متألمة، وبمجرد أن أفاقت من الهزة النفسية العنيفة الطويلة بدأت تقول: "إنه خطيبى الذى حزنت عليه طوال خمسين عاما ولقد أنعم الله على الآن لأن أراه ثانية قبل وفاتى، كان قد ذهب إلى المنجم قبل حفل الزفاف بثمانية أيام ولم يعد إلى الأبد". وهنا اختلطت مشاعر كل الواقفين حولها بالحزن والدموع عندما شاهدوا الخطيبة السابقة وهى فى سن اليأس والذبول والخطيب الذى لايزال يحتفظ بجماله النضر وكيف صحا لهيب حب الصبا فى صدرها ثانية بعد خمسين عاما، أما هو فلم يعد على الإطلاق يفتح فمه لابتسامة أو عينيه للتعرف ثانية على من حوله ولأن هذه الخطيبة هى الشخص الوحيد الذى ينتمى إليه المتوفى ولها حق فيه، لذا فقد سمحت لعمال المنجم بأن ينقلوه إلى حجرتها الصغيرة إلى أن يتم تجهيز قبره فى

فناء الكنيسة. وفى اليوم التالى بعد أن تم إعداد القبر فى فناء الكنيسة وقام عمال المنجم بنقل المتوفى قامت هى بفتح صندوق صغير وأخرجت رباط العنق الأسود الحريرى بشريطه الأحمر ووضعته حول جثمانه ورافقته وهى تلبس رداء يوم الأحد وكأنها تسير فى حفل زفافها وليس فى مراسم مواراة جثمان خطيبها.

وبعد أن تم إيداعه القبر فى فناء الكنيسة خاطبته قائله: "فلتنعم فى فراش الزفاف الرطب يومًا أو بعض يوم، ولا تقلق من طول الوقت، أما أنا فلا يزال لدى بعض الأعمال سأنجزها وأجىء إليك فورًا، وقريبًا سيكون حفل جديد. إن من عاد إلى الأرض فإنها لن تخرجه من باطنها ثانية". قالت ذلك وهى تنصرف وتعاود النظر إلى من حولها.

المريض الذى شُفى

يوهان بيتر هيبل

لاشك أن الأغنياء من الناس رغم ثرواتهم أحيانا تكون لديهم أيضا أمراض، فهناك أمراض ليست معلقة فى الهواء ولكنها موجودة فى الأطباق الكبيرة والأكواب المليئة وفى المقاعد الوثيرة والأَسِرَّة الحريرية، وها هو رجل ثرى من أمستردام له فى ذلك خبرات كثيرة سيئة يمكن إنشاد أغنية عنها.

لقد كان يجلس فترة الصباح بأكملها فى مقعد بمسند ويدخن التبغ اللهم إلا إذا انتابه الكسل لفعل ذلك، أو كان يطل من النافذة، أما عن وجبة الغذاء فقد كان يلتهم الأكل كالطاحونة وأحيانا ما كان الجيران يتساءلون: "هل من الأفضل لك أن تذهب خارجًا حيث الهواء المتجدد بدلاً من أن تحدث شخيرًا للجيران هكذا؟".

كان يجلس فترة بعد الظهر بأكملها يأكل ويشرب أيضًا أنواعًا باردة تارة وأنواعًا ساخنة تارة أخرى دون أن يعانى من جوع أو فقدان شهية، لا لشىء إلا لمجرد الملل، ويستمر الحال هكذا حتى المساء لدرجة أن المرء لا يستطيع أبدًا أن يحدد بالنسبة له متى ينتهى الغذاء ومتى يبدأ العشاء. وكان عقب العشاء يرقد فى سريره حيث يكون قد أصبح متعبًا وكأنه قد قام طوال اليوم بتفريغ حمولة من

الأحجار أو بتقطيع أخشاب، وبذلك أصبحت جثته فى النهاية بدينة فكانت ضخمة إلى حد أنها كانت تشبه جوالاً من الحبوب، ولم يعد لديه رغبة فى تذوق طعم الأكل والنوم، وظل لفترة طويلة وحسب الأحوال لا هو بالصحيح تمامًا ولا بالمريض تمامًا ولكن عندما كان المرء يسمعه بنفسه فإنه كان يتأكد له أنه يعانى من ثلاثمائة وخمسة وستين مرضا، أى أنه كان ينتابه مرض بمعدل كل يوم، وكل الأطباء الذين كانوا فى أمستردام اضطروا إلى توجيه النُصح إليه، لقد أخذ يبتلع ما يملأ جردلاً بأكمله من مزيج الأدوية وجواريف بأكملها ملآنة بالمساحيق والحبوب ووصفه المرء فى النهاية بالأجزخانة ذات الساقين، غير أن كل محاولات علاجه لم تساعده فى شىء لأنه لم يكن يتبع ما كان يأمره به الأطباء، بل كان يقول: يا للشيطان! وما فائدة أننى رجل غنى إذا فرض علىّ أن أعيش مثل الكلاب!

وأخيرًا سمع عن طبيب كان يسكن بعيدًا عنه بمسافة تقدر بمائة ساعة، وأنه طبيب ماهر إلى درجة أن المرضى يصبحون أصحاء لمجرد أنه يراهم فقط، وأن الموت يذهب بعيدًا عن الطريق الذى يمكن أن يلتقى به فيه. لقد وثق الرجل فى هذا الطبيب ووصف له حالته الصحية، وعلى الفور لاحظ هذا الطبيب ما كان يلزمه، فهى ليست الأدوية ولكن الاعتدال والحركة، وقال له: "انتظر! إننى أريد الانتهاء من شفائك على وجه السرعة"، ولذا فقد حرر له خطابًا مضمونه ما يلى: "أيها الصديق الطيب، إنك فى حالة صحية سيئة،

غير أنه سيتم مساعدتك إذا أردت أن تذعن للأمر، يوجد عندك حيوان شرير فى بطنك، إنه تنين له سبعة أفواه ولابد لى شخصيًا أن أتحدث مع التنين ولابد لك أن تحضر عندي، ولكن أولاً غير مسموح لك أن تسافر أو تمتطى جوادا ولكن يجب عليك أن تأتى راكبا قدميك وإلا فإنك ستهز التنين وسيلتهم عندها أحشاءك، سبعة أمعاء مرة واحدة، وثانيا أنه لا يصح لك بعد ذلك أن تأكل أكثر من مرتين يوميًا، طبقا من الخضار ظهرا ومعه سجق محمر وفى المساء بيضة وفى الصباح شوربة لحم عليها ثوم، ولو أكلت أكثر من ذلك فإن كل ما سيحدث هو أن التنين سيصبح أكبر حجما إلى درجة أنه سيضغط على الكبد ولن يستطيع الترزى بعد ذلك تفصيل ملابس لك اللهم إلا أن الحانوتى هو الذى سيفصل لك نعشا، تلك هى نصيحتى وإذا لم تذعن لى فإنك لن تسمع الديك يصيح فى الربيع القادم ولك أن تفعل ما تريد!".

وبعد أن سمع المريض وهو يردد ذلك مع نفسه، أمر هو على الفور فى الصباح التالى بتنظيف الحذاء البوت ثم وضع نفسه على الطريق مثلما أمره الطبيب.

فى اليوم الأول كان سيره بطيئا للغاية حتى إن قوقعة كانت من الممكن أن تتقدمه، ومن كان يحييه كان لا يشكره، وأينما كانت تزحف دودة صغيرة على الأرض كان يدهسها، إلا أنه فى صباح اليوم الثالث والرابع بدا له وكأن الطيور لم تعد ولفترة طويلة تغنى

بهذه العذوبة مثل اليوم، وبدا الندى له منعشا للغاية وزهرة الخشخاش فى الحقل حمراء للغاية وجميع الناس الذين قابلوه كان يبدو عليهم البشاشة مثله هو أيضًا، وفى كل صباح عندما يغادر بيتا للضيافة كان الطقس بالنسبة له يزداد جمالاً وأخذ يسير إلى حيث يتجه وهو أكثر خفة ونشاطًا.

وعندما وصل إلى مدينة الطبيب فى اليوم الثامن عشر وقام من نومه فى صباح اليوم التالى كانت حالته الصحية طيبة للغاية حتى إنه قال: "إننى ربما لم أصبح فى صحة جيدة فى أى وقت مضى أحسن من الآن وأنا فى الطريق إلى الطبيب، ليتنى أشعر على الأقل بطنين فى أذنى أو أشعر بثقل طفيف فى بطنى!"

وعندما وصل عند الطبيب أخذه الطبيب من يده وقال له: "والآن فلتحك لى بالله مرة أخرى من البداية عما بك!" فرد قائلا: "يا سيادة الدكتور، إننى لحسن الحظ لا أعانى من شىء على الإطلاق ولو كنت أنت فى صحة جيدة مثلى سيكون مدعاة لسرورى".

فقال الطبيب: "إن عقلا رصينا قد أوعز إليك بأن تتبع نصيحتى، لقد مات التنين الآن ولكن لا يزال فى جسدك بيض له، لذلك فإنه يجب عليك أن تعود ثانية إلى منزلك سيرًا على الأقدام وتعمل هناك باجتهاد فى نشر الأخشاب وليتك لا تعاود الأكل كثيرًا

إلا إذا أجبرك الجوع على ذلك، حتى لا يفقس البيض، وبذلك تطول حياتك وتصبح رجلاً عجوزًا"، وأخذ يضحك لذلك.

غير أن الرجل الثرى قال: "يا سيادة الدكتور، إنك رجل لطيف متميز، وإننى أفهمك جيدًا" وبعد ذلك أخذ يعمل بالنصيحة وعاش سبعة وثمانين عامًا وأربعة أشهر وعشرة أيام وهو فى صحة جيدة تماما مثل سمكة فى الماء، وأوصى بإرسال عشرين قطعة نقود إلى طبيبه مع مطلع كل عام جديد تحية له.

مسرح النافذة

إلزه آيشنجر

كانت السيدة تتكئ على النافذة وتتجه بأنظارها إلى الجانب الآخر، وكانت الريح تندفع عاليًا من النهر محدثة لطمات رقيقة لاتحمل معها أى شىء جديد، كانت السيدة محط حملقة الفضوليين الطامعين من الناس، لم يحرك أحد الدهشة فيها بأن جعل سيارة تدهسه أمام منزلها، وفضلا عن ذلك كانت تسكن فى الدور قبل الأخير وكان الشارع يبدو إلى أسفل بعيدًا تمامًا، وحدث أنه عندما أرادت السيدة الابتعاد فعلا عن النافذة لاحظت أن العجوز الذى يواجهها فى السكن قد أضاء النور، ولما كانت الدنيا لاتزال نهارًا فعلاً، فقد بقى هذا النور لذاته وأعطى الانطباع الغريب وكأن مصابيح الشوارع قد تم إضاءتها والشمس ساطعة، أو كأن أحدا قد قام بتثبيت الشموع المضيئة فى النافذة قبل أن يغادر الكنيسة الموكب البهيج، بقيت السيدة أمام النافذة.

فتح العجوز النافذة وأومأ فى اتجاه الجانب الآخر. فكرت السيدة: هل يعنينى؟ غير أن الشقة أعلاها ليس بها سكان وأسفل شقتها توجد ورشة كانت مغلقة فعلا فى مثل هذا الوقت، قامت السيدة بتحريك رأسها حركة خفيفة فأومأ العجوز مرة أخرى، راح يلمس

جبينه فاكتشف عدم وجود قبعته فوق رأسه واختفى إلى داخل الحجرة.

سرعان ما جاء ثانية وهو يرتدى القبعة والمعطف، خلع القبعة للتحية وابتسم ثم أخرج منديلاً أبيض من جيبه وبدأ يلوح بحركة خفيفة فى بادئ الأمر ثم بحماس متزايد ومستمر، أخذ يتعلق بالجدار المحيط بالنافذة إلى درجة تخيف المرء وكأن توازنه سيختل ويسقط هاويًا، ارتدت السيدة خطوة إلى الخلف واتضح أن ذلك لم يزده إلا قوة، ترك المنديل يهوى وفك الشال من حول رقبته، شال ملوّن كبير، تركه يرفرف إلى خارج النافذة كان يفعل ذلك وهو يضحك، وعندما قامت هى بالرجوع خطوة أخرى إلى الوراء، خلع القبعة وألقى بها فى حركة عنيفة، ولف الشال حول رأسه مثل العمامة ثم وضع ذراعيه على صدره متقاطعتين وانحنى للتحية، وكلما كان ينظر عاليا كان يغمض عينه اليسرى وكأن هناك فى الخفاء تفاهم بينهما، ظلت هذه المواقف تبعث فيها السرور لفترة طويلة إلى أن شاهدت فجأة سيقانه تتعالى فى الهواء خارجة من سروال قطيفة خفيف مرقع، كان يقف رأسا على عقب وعندما احمر وجهه ودبت الحرارة فى جسده وظهر ثانية فى لطف، كانت هى قد أحاطت الشرطة علمًا، وفى الوقت الذى كان هو ملفوفًا فى ملاءة من التيل يظهر أمام النافذتين مرة تلو الأخرى، كانت وهى على بعد ثلاثة شوارع منها ووسط طنين عربات الترام والضوضاء المكتومة للمدينة قد تبينت فعلا

صوت آلة تنبيه سيارة شرطة النجدة، فقد كان شرحها للموقف غير واضح تمامًا، كما أعطى صوتها الإحساس بالانفعال، أما الرجل العجوز فكان يضحك فى ذلك الوقت إلى حد أن وجهه قد انقلب إلى تجاعيد عميقة ثم أحدث حركة بيده غير مفهومة وأصبح صارما وبدأ يستقبل الضحك لمدة ثانية فى راحة يده ثم ألقى به على الجانب الآخر ولم تستطع السيدة أن تنتزع نفسها من نظراته إليها إلا عندما كانت السيارة تلتف فعلا عند الناصية.

وصلت السيدة إلى أسفل وهى فاقدة النفس، كان قد تجمَّع عدد من الناس حول سيارة الشرطة، ألقى رجال الشرطة بأنفسهم خارجها وقام هذا الجمع من الناس بالسير خلفهم وخلف السيدة، وعندما جرت محاولة لتفرقتهم، أعلنوا فى صوت واحد أنهم يسكنون فى هذا المنزل، وصعد بعضهم حتى الطابق الأخير، أخذوا يلاحظون من خلال الدرج كيف كسر الرجال الباب بعد أن أصبح طرقهم دون جدوى وبدا لهم تماما أن الجرس لا يعمل، كانوا يمارسون عملهم بسرعة وبإجراءات أمن يمكن لأى لص منازل أن يستفيد منها، لم يترددوا أيضا ثانية واحدة فى دخول الصالة الأمامية التى تطل نوافذها على فناء المنزل، راح اثنان منهم يخلعان حذاءيهما ويتسللان عند الناصية، فى تلك الأثناء أصبح كل شىء معتمًا، لقد اصطدما بحمالة لتعليق الملابس، أخذا يتحسسان شعاع الضوء عند نهاية الممر ويقتفيان أثره، بينما تتسلل السيدة خلفهما.

عندما انفتح الباب بقوة الدفع كان الرجل العجوز واقفا وظهره لهما ولا يزال أمام النافذة، حيث كان يضع وسادة بيضاء كبيرة على رأسه يرفعها بشكل مستمر مرة تلو الأخرى، وكأنه كان يوضح لأحد أنه يريد النوم، أما السجادة التى رفعها من على الأرضية فكان يحملها على كتفيه. ولما كان هو ثقيل السمع فإنه لم يلتفت إلى الوراء عندما وقف الرجال خلفه مباشرة، بينما أخذت السيدة تلقى بنظرها بعيدا على نافذتها المعتمة.

الورشة بالطابق الأسفل كانت مغلقة كما توقعت، أما الشقة العلوية فلابد أن ساكنًا جديدًا قد انتقل إليها، حيث تم عند إحدى نوافذها المضيئة إزاحة سرير له سور كان يقف بداخله معتدلاً صبى صغير، كان يحمل أيضا وسادة على رأسه وملاءة سرير حول كتفيه، كما كان يقفز ويلوح إلى الجانب الآخر ويصيح ابتهاجًا، كان يضحك ويمرر يده على وجهه ويصبح صارما وبدأ يستقبل الضحك لمدة ثانية فى راحة يده ثم يقذفه بكل قوته فى وجه رجال الشرطة.

الذئاب

إيبرهارد ميكيل

كان الخريف قد بدأ مبكرًا على غير العادة وتحول الطقس إلى شتاء، لدرجة أنه فى نهاية شهر نوفمبر وبداية ديسمبر كانت المنطقة تغطيها الثلوج والصقيع. كان الطقس معتدلاً فى السنوات الأخيرة الماضية فكانت الزحافات تتراكم فى الجراجات دون استعمال وقد كساها التراب، ولكن الآن فقد تم فى كل مكان إخراجها وتلميعها وتجميلها وعادت أجراسها المُعلقة فى مقدمتها أسفل حبل الشد تجلجل فى بهجة وهى تشق الشوارع البيضاء والطرقات. والكثير من الناس لا يضيعون على أنفسهم متعة الاشتراك مع مجموعة من محبى ركوب الزحافات وخصوصًا من شباب المدينة الذين يعشقون مثل هذه الرياضة فيقومون غالبًا بقطع مسافات شاسعة فى ثنائيات أو فى مجموعات لأكثر من شخص عندما يسافرون إلى الضواحى القريبة أو النائية.

وحدث ذات مرة أن آميليه. ف. وهى فتاة يزيد عمرها على العشرين بقليل، يرافقها خطيبها الذى أعلن الخطوبة رسميا أمام محكمة منطقة الولاية قد قامت أيضًا بمثل هذه الرحلات القصيرة المرحة فى فترة ما بعد الظهر، وكان هذا الشاب الذى يكبرها بقليل

ويدعى بيرتولت يجيد ركوب الحناطير مما لا يدعو لأن يحمل حماه وحماته فى المستقبل أية هموم إذا قاما بتكليفه هو وابنتهما باستخدام الحنطور المريح ذى المقعدين والخيول الأصيلة، ذلك الحنطور الذى كانا يسعدان باستخدامه فى الماضى.

كان الطقس جميلاً وصافيًا والبرودة شديدة، ولقد ساعد ذلك على شق طريق أملس بفعل الثلج البراق والمتطاير كالمسحوق والذى يسقط طازجا طوال الليل. كانت الفرحة تعم كل إنسان يرى الشاب والشابة وهما يبدآن رحلتهما ملفوفين فى الفراء والأغطية ويمران أمامه، كان يشعر بالسعادة عندما يرى الاثنين والصقيع يغطى وجوههما النضرة والسعادة تتجلى عليهما، والحقيقة هو أن الكثيرين الذين كانوا يتبعونهما بنظراتهم كانوا من المحبين والحاقدين.

وسارت رحلتهما خلال منطقة حيوية ومعروفة، ولكن سرعان ما تعددت الطرق الزراعية الجانبية المؤدية إلى منطقة مراعى بها أشجار وأنهار تضفى عليها الشمس لمعانًا وبريقًا، منطقة كان يوجد بها تقسيمات غير محددة المعالم ولم يطرقها أحد، تتخللها قنوات مياه مجمدة تسير عبر تفريعات صرف صغيرة بيضاء مبهرة للعين.

أخذ الاثنان يواصلان سيرهما واستمرا فى السير مدة ساعة ونصف أو تزيد، ولقد كانت حقًا رحلة عاشقين أشبه بالحلم، كما كان يشعر بها كل من آميليه وبيرتولت، حيث كان كل منهما يؤكد هذا

الشعور للآخر. لم يهتما بما حولهما أكثر من اهتمامهما بأنفسهما، كما أنهما لم يعيرا أى انتباه إلى الشمس التى قلّت حرارتها خلال فترة ما بعد الظهر، تلك الشمس التى أصبحت فى بطء قرصًا أحمر باردًا اختفى فى الأفق وترك الأرض فى غسق، وكان الوقت بالنسبة لهما شيئا ليس له أهمية على الإطلاق، ربما له أهمية بعض الشىء عند آميليه التى أصبحت أكثر خوفًا من قرب حلول الظلام، وفكرت فى العودة تدريجيا قبل بيرتولت الذى رفض مثل هذه الفكرة حتى إنه كلما كان يزداد إصرارًا على رفض النظرات المنذرة الخافتة من حبيبته كلما كان يتوغل أكثر فى أعماق الغابات. كانت ضمن الأمتعة زجاجة ويسكى تعطى الدفء للجسم خلال رحلة هذا الطقس البارد ومن الجائز أنه تناول بضع رشفات من الزجاجة حتى أصبح مزاجه بعدها أكثر صفاءً بل وأيضًا أكثر طيشًا، وعلى أيه حال فإنه لم يكترث بتوسلات خطيبته للعودة ولم يعد يتبقى شىء سوى أن يتعارك الاثنان، غير أن الفتاة لاذت أخيرًا بالصمت ولم تفعل شيئا سوى أنها اتجهت بأنظارها بعيدًا عنه واندهشت لوجه خطيبها الموجه فى ثبات إلى الأمام والذى زاد عنفًا وهلعًا فى دفع الحصان بسرعة كبيرة إلى المصير غير المعروف، بينما بدت هى نفسها تشعر بالبرودة والغربة فى ضوء النهار، فلم تكن قد رأت فى حياتها أبدًا موقفًا متغيرًا تمامًا كهذا، وسيطر عليها نوع من الغضب والأنانية على غير طبيعتها، لقد تسبب ذلك الموقف فى اضطرابها، إنها فتاة ساذجة عديمة الخبرات

مع الرجال وخصوصًا مع أول رجل قد أعجبت به عن صدق واتجهت بقلبها إليه، إنها تجلس الآن فى صمت رهيب وبلا حراك، اللهم إلا هزات خفيفة مع حركة الزحافة. لقد غابت عنها متعة الرحلة وأصبحت لا تبالى مثل الجرس الذى أنهكت دقاته بعد تآكل الحدوة التى يرتطم بها، ومثل كتل الثلج المتماسكة التى تتطاير على الخشبة الردادة محدثة لطمات خفيفة.

ومرة واحدة بدت آميليه وكأنها تفاعلت مع حلبة التزحلق، مع دقات الحدوة، مع الثلج الذى يتطاير على الزحافة بشكل منتظم تقريبًا ومع أى ضجيج آخر ربما لم يظهر آنذاك، تفاعلت مع كل هذا وشعرت بالخطر الذى ينذر من الخلف ويباغت الزحافة فى سكون، وبعد وهلة استدارت، عندما تأكد لها أنها لم تخطئ فى ظنها، فقد رأت شعاعين خافتين من الضوء وأشكال حيوانات فى الثلج وفوق الأشجار، رأت نجومًا تتلألأ تظهر ثلاثة أو أربعة ظلال غير واضحة تتحرك بسرعة خلف بعضها، وفى اللحظة نفسها عندما تأكدت الفكرة عندها بأن هذه الظلال والنجوم لا يمكن أن تكون سوى ذئاب، نعم ذئاب، أحست الفتاة بعدم قدرتها على الإفصاح عن اكتشافها المخيف، لقد عرفت، وليس ذلك بدافع الخوف الذى ربما شل حركة صوتها، ولكن بدافع يقينها المفاجئ والشديد الوقع على نفسها، بأن خطيبها على أساس معرفتها له من قبل لن يقدر على مواجهة مثل هذا التهديد

الخطير وهذا ما ينطبق على الصورة التى أخذتها عنه حتى الآن، وربما أنه خيل لها بأنها عليها الآن أن تتحمل بمفردها عاقبة ما سيحدث مهما كان الأمر، وكان هذا الإحساس بمسئوليتها عن نفسها فقط والتى لم تخطر ببالها من قبل، قد أعطاها صلابة قوية، فهى تعلم حقيقة أن هناك ذئاب كانت لا تزال تتواجد فرادى فى أجزاء متفرقة من سلسلة الجبال، وهذا ما كانت تعرفه منذ طفولتها، وكانت هذه الذئاب تهبط إلى السهل بين الحين والآخر خلال فترة الشتاء القاسى، إنها معلومات قد مر عليها زمن طويل وأصبحت أشبه بالأسطورة، غير أن الذئاب تتواجد هنا الآن، حقًا هنا، لقد جال بفكر آميليه أن سيرهم المصحوب بسعال دائم يزداد وضوحًا واقترابًا وأنه يمكن رؤية الأضواء المبهرة التى تخرج من عيونهم المخيفة، وأن ما هو خيالى حتى الآن وغير محتمل حدوثه، غير محتمل فعلاً، قد أصبح الآن حقيقة ويقترب من آميليه ومن كل ما هو حقيقى وجوهرى بالنسبة لها، حيث حياتها كفتاة، إحساسات الحب الأولى عندها، علاقتها مع بيرتولت الذى يجلس إلى جوارها ويواصل تحديد الرحلة. وهنا تولد عن هذه الحقيقة الخطرة موقف مغاير لسابقه، ومع هذا الوضع واحتمال أن يزداد الخطر بشكل كبير جدًا اختفى الموقف السابق الذى كان لايزال مسيطرًا منذ لحظات وحل محله بالنسبة للفتاة آميليه موقف جديد وغامض، موقف يتفق معها تمامًا ولكن لم

يعد يعبر كثيرًا عن جوهرها حيث يعبر عن طبيعة امرأة تتجسد ملامحها بشكل أكثر تأكيدًا كلما زاد عناد الرجل الجالس إلى جوارها يمسك اللجام ويسير عن غير صواب فى الغابات، وأن كل الخجل الذى كانت تختزنه من أجل سنوات حياتها القادمة، قد اختفى الآن حيث إن كل شىء ربما وصل إلى نهايته، لقد تملكها نوع من الشجاعة وأدركت أنها لن تفقد هذه الشجاعة مرة أخرى، حتى ولو كان الإنقاذ محتمل الحدوث، ولاشك أنه لم يكن فى مقدورها جعل بيرتولت يشاركها هذه الشجاعة وانتابها نوع من الاحتقار لإنسان كانت قد أحست بارتباطها به كخطيبها، إلا أنه لا يمكن أن يكون جديرًا بهذه المشاركة واكتفت دون حاجتها إلى النظر بعيدًا، بأن تتخيل وجه بيرتولت، لقد كان واضحًا على عينى وفم هذا الرجل علامات الخبث والجبن والشهوة ولكنه راح يخفيها عليها ليجعلها تشعر بأنه نبيه وذكى وخجول كى يحقق هدفه من وراء ذلك.

لقد أدركت فتاة العشرين بشكل قاطع بأن حياتهما سويًا فى المستقبل تتوقف على أن تكون هذه المشاركة متبادلة على الأقل وجديرة كما تكون مطلقة ودون حاجة إلى دليل، إلا أن هذه التجربة كانت كافية فعلاً لتحديد موقفها من بيرتولت.

لقد أخذت الذئاب تعدو وتعدو مسرعة لتصبح تقريبًا أسرع من الأفكار التى كانت تمر فى ذهن الفتاة، لقد كانت هذه الحيوانات

الباحثة عن فريستها تجرى فى خطوات ثابتة، يتساقط هواء تنفسها على فرائها الكثيف فيعطى إحساسًا مخيفًا، وبينما كان الحصان الذى عاش هو أيضًا زوبعة الخطر الغريب، قد بدأ يزيد من سرعته ويترك خلفه العدو المرعب غير المعروف، قام بيرتولت فجأة بتغيير اتجاه السير وجنَّد كرباجه وقن قيادته فى التغلب على الاندفاع العشوائى للزحافة حيث كان الليل قد أسدل ستاره آنذاك واحتضن خطيبته الصامتة بذراعه الأيسر بعد أن أقفلت جفنيها وأخذت تترقب كل لحظة حدوث الهجوم الثائر، ولكن الغريب أنه لم يحدث شىء، وأخيرًا ظهر فجأة ممر يؤدى إلى خارج الغابة، وظهرت على الأجناب أضواء هادئة لطريق زراعى ينحنى فى مواجهتهما ويسوده حركة مرور فى الاتجاهين، وهنا اخترقته اضطرارًا الزحافة بحصانها المرتعش وأخذت اتجاه سيرها فى هدوء، وأهدأ من ذلك فقد أخذ جرس الزحافة يدق من جديد دون أن يشاركه صوت آخر مخيف.

لقد كان بيرتولت يتخيل دائمًا ما حدث ويصاب بارتباك وهو يسير أمام منزل آميليه، وعندما قرأ بعد ذلك بيومين خبرًا يفيد بأنه تم التحقق من وجود آثار أقدام ذئاب فى غابة آوين بالذات، وهى الغابة التى كان قد سار فيها بالزحافة، كان يحاول بطريقته تجسيم ما كان يجول فى صدر خطيبته من أفكار.

لقد كان يعتقد أنها لزمت الصمت من أجله فقط، من أجل إنقاذ خطيبها واعتبر ذلك تضحية كبرى لم يكن يتوقعها من هذه المخلوقة الرقيقة. توجه إليها مسرعًا، إلا أنه لم يجد ما يبعث على السرور فقد فات الأوان، لقد اعتبرته مذنبًا من حيث لايدرى وعليه أن يدفع ثمن مالم يكن يقصده من تحدٍ.

سباق بين والد وولده

هاينريش ڤايس

كنت أبلغ من العمر حوالى تسع سنوات وكانت عمتى تتكفلنى بالرعاية منذ وفاة والدتى حيث كنت أناديها باسم "ماما هيبيرير"، وذات مرة كنت أعانى من آلام فى أسنانى فحضر والدى وأخذنى من عندها ليصحبنى إلى الطبيب الدكتور ريزيه كى يخلع لى سنتى.

كان هذا الرجل ضئيل البدن لا يعرف المزاح، يضع على عينيه الذكيتين عدسات نظارة طبية تعكس بريقا لامعا، وعلى الفور عندما اقتربت منه، أشار إلى بالجلوس على مقعد بحجرة الكشف ثم أعطانى ظهره ووقف بعد ذلك مع والدى عند النافذة المفتوحة على مصراعيها يتجاذب معه أطراف الحديث عن شتى الموضوعات.

لقد كان الدكتور ريزيه يشبه والدى فى شعره الأشقر الخفيف، إلا أن استعداده الداخلى لمهنة الطب ومهارته فى مهنته التى أثبتها فى العديد من العمليات الجراحية الصعبة، بالإضافة إلى هدوئه الزائد، كل هذه الصفات قد أكسبته فى تلك السنوات السمعة الطيبة والتقدير من المدينة الصغيرة التى يعيش فيها وأيضا من ضواحيها.

وبينما كان الرجلان يتحدثان كان الخوف من عملية الخلع يكاد يقتلنى، حيث كنت أخاف الألم، كما أن العذاب النفسى الذى تسبب فى

إمكانية سماع ضربات قلبى جعل قرارا جريئا ينمو فى داخلى، وهو أنه إذا استمرا كلاهما فى النظر من خلال النافذة غير مكترثين، فإننى سأنوى – حيث كنت أجلس على مقربة من الباب – القيام بعملية هروب. وما إن اتخذت هذا القرار، حتى جالت بخاطرى بعض الأفكار؛ هل سأجد فى مدخل المنزل مكانا آمنا للاختباء فيه؟، هل سأتمكن من فتح سقاطة قفل باب المنزل الغريبة الشكل؟ وما هى نتائج تنفيذ هذا القرار!. لقد كنت أجلس بين من لا يرحما، وأحسست بسبب شدة الخوف بأن وجنتى تلتهبان من شدة الاحمرار، وفى الوقت الذى كنت فيه أنزلق على المقعد من طرف إلى آخر، كان المقعد يحدث أزيزا.

اتجه الدكتور ريزيه ناحيتى قائلا: حالا، حالا يا عزيزى، سيتم كل شىء بسرعة.

وكانت هذه الكلمات اللطيفة بمثابة الشرارة لبدء الجرى العاصف، آلام أسنانى بدت وكأنها لم تكن، وظهرت وجنتاى وكأنهما غير متورمتين، وأخذ قلبى يدق بشدة، وانتابتنى الرعشة فى جميع أجزاء جسمي، وفى هذه اللحظة استدار الطبيب ووالدى وأعطيانى ظهريهما وأخذا ينظران من خلال النافذة ناحية القطار الذى يسير فوق الكوبرى محدثا ضجيجا هائلا، إنهما لا يباليان! وبكل هدوء فتحت الباب وخرجت ماشيا على أطراف أصابعي، لقد غطى ضجيج القطار على أزيز الباب، كما أخفى ضوضاء خطواتى المسرعة، ويا

للمعجزة، لقد كان باب المنزل مفتوحا وغير مقفول بالمزلاج، فارتميت عليه مندفعا وأرديته جانبا، كما ألقيت بباب الحديقة فى الطريق على أمل أن يكون عائقا لكل من يلاحقنى، ووصلت إلى الشارع ثم اتجهت مسرعا إلى شارع راوباخ، حيث اللجوء إلى ماما هيبيرير هو وحده إنقاذ لى. لقد حققت فعلا قفزة مبدئية وهى بمثابة "ميزة" كما يسميها الرياضيون وحينما كنت أجرى أدرت رأسى إلى الخلف وشاهدت فى لمح البصر أن الطبيب تراجع عند باب الحديقة عن ملاحقتى بينما يواصل والدى متابعتى فى خطوات قوية، لابد أن والدى قد تعب، إننى أخافه يا إلهى لو لحقنى!، إننى لم أشعر فى حياتى بمثل هذا الخوف الذى تضطرب له دقات قلبي، وبشجاعة الرغبة فى عدم فقدان الأمل، أخذت أخطو خطوات رياضية إلى الأمام، بالفزع، لقد أصبحت المسافة بينى وبينه أصغر وأصغر، وأخذت أحدث نفسى وأقنعها بأن السرعة التى أجرى بها لابد أن تكون كافية لعدم لحاق والدى بى، انحرفت إلى اتجاه شارع شنايدمول وكانت ماما هيبيرير تقف أمام باب البدروم فأخذت أصيح من بعد: "ماما! ماما!" وهنا ضمت الأم يديها على صدرها من شدة الفزع، وفكرت، هل أختفى خلف معطفها، أم أن هذا المكان المقدس يبدو لى الآن غير آمن، إن أبى، وهو جبار مثل القائد المغوار فى معركته الحربية قد يلحق بى ويشدنى من شعرى ويضربنى حتى الموت، لقد

أصبح والدى الآن قوة مفزعة باطشة، تنين مرعب وذئب فى شكل إنسان.

لقد كان على وشك الإمساك بى، إلا أنه رمى نفسه بقوة علىَّ، بينما أنا بما تبقى لى من قوة كنت أتعثر على درج السلم الحجرى أثناء صعودى، واتجهت ناحية الركن إلى الطرقة حتى وصلت إلى باب حجرة الأمان المحاطة بالصخور، وهو باب نافذة على شكل قلب، يالها من لحظة سعيدة! وعلى الفور قامت الأم بقفل الباب خلفى وجذبت المزلاج إلى الأمام.

أخذت أبكى وأنا فى قمة السعادة، لقد انتهت الأزمة، لم أعد أقوى على المشى، وألقيت بنفسى على الكرسى الخشبى الرطب المجرد، ومنذ هذه اللحظة وأنا أعرف الطمأنينة عندما استمتعت نفسى بها، هذه الطمأنينة يمكن، إذا حق لى ذلك، مقارنتها بالشعور الذى لم يولد بعد وبالميناء الآمن المستتر حيث يلقى المرء من خلاله نظرة على آلام البشر. وبينما كنت جالسا أسمع ضربات أنفاسى العالية، أدركت خطوات والدى، إنه لم يحاول بعد فتح الباب، إن والدى الثائر قد كف عن مواصلة اقتفاء أثرى، وجلس على الكنبة فى الطرقة وأخذ يتحدث بصوت محشرج عن محكمة الجنايات التى سأقف أمامها عندما أعود إلى الظهور أمامه. إنه يبدو وكأنه اتخذ قرارا بمحاصرتى وتركى هكذا حتى ينفذ صبرى من شدة الجوع، وكنت أسمعه يقول المرة تلو الأخرى: "أيها القذر!"، وكانت الأم قد

وضعت نفسها بينه وبين باب حجرتى، وأخذت تتحدث معه مستحلفة إياه وتقول: "كارل! إياك أن تؤذى الولد!" وأضافت وكأنها تصدر حكمها الأول: "يا كارل! أرجوك لا تلمس الطفل!".

وعندما سمعت هذا الكلام اتكأت فى سعادة على حائط الحجرة الرطب البارد، وعلى الرغم من أنه لا يتبقى سوى أربع خطوات تفصلنى عمّن يلاحقنى، إلا أننى كنت أبتسم دون اكتراث، وحدثت نفسى قائلا: وإذا ضيق أبى الخناق على فإن والدتى ستقوم بدس سندوتش اللحم من خلال نافذة الباب التى على شكل قلب ولن يستطيع أبى مقاومتها لأنه لا يقوى على الوقوف أمامها.

لقد أحسست الآن وكأنى بطل، لقد كان بوسعى فتح الباب كى أمد يدى إلى خصمى الأكبر للتصالح معه، إلا أن خبراتى مع والدى حتى الآن هى وحدها التى منعتنى من التفكير فى ذلك. إن الآباء لا يبدون أى تفهم للأعمال البطولية التى تعيش فى نفوس أبنائهم النبيلة. وهكذا بقيت على هذا الحال بعد أن عدلت مؤقتا عن هذا التفكير وفضلت الانتظار فى أمان إلى أن يبتعد أبى بعد فترة عن منطقة حصارى وذلك بعد أن يستعيد أنفاسه ويعود إلى هدوئه.

المؤلفون فى سطور:

١- مارتن أوبيتس (١٥٩٧-١٦٣٦)

رائد النهضة اللغوية فى ألمانيا فى القرن السابع عشر حيث ندر الإنتاج الأدبى وأهملت اللغة الألمانية، واعتمد الأدباء الألمان على روائع الأدب العالمى آنذاك فى كل من إنجلتر وفرنسا وإسبانيا فكان الإنتاج الأدبى فى ألمانيا مجرد محاكاة فكرية ولغوية وليس إبداعا.

عمل أوبيتس على النهوض بالأدب الألمانى فألف كتبا وضع فيها قواعد لنظم الشعر لاقت قبولا ورفضا ونقدا فكان أثرها عميقا وفضلها كبيرا. من أعماله: "كتاب عن الشعر الألمانى" و"أشعار ألمانية"، وهى أعمال تناهض الإقلال من شأن اللغة الألمانية.

٢- يوهان جوتفريد هيردر (١٧٤٤-١٨٠٣)

أحد الرواد الأدباء المعتدلين لحركة "العصف والدفع" فى ألمانيا، تلك الحركة التى كانت تؤثر المشاعر الجياشة على العقلانية تمشيا مع أفكار المفكر والفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو. ولد هيردر فى مورونجن شرقى بروسيا ودرس علم التوحيد والفلسفة فى

جامعة كونيجزبرج، وتعلم على يد الفيلسوف إيمانويل كانط وتأثر به وخضع أيضًا لتأثير جورج هامان، وفى مدينة شتراسبورج تعرف على عملاق الكلاسيكيين الألمان يوهان فولفجانج جوته الذى يصغره بخمس سنوات وجعله ينبهر بالشرق لغة وشعرا وحضارة. يعتبر هيردر أول فيلسوف لتاريخ الشعوب على الأرض الألمانية وأهم عمل له بعنوان: "أفكار عن فلسفة تاريخ البشرية" إلى جانب أعمال له حاول من خلالها دراسة أصل اللغة والأدب والفن، هذا بالإضافة إلى "رسائل لنشر الإنسانية"، ويعتبر هيردر أول من صاغ مفهوم "الأغنية الشعبية" حيث كان اهتمامه بالأغانى الشعبية كبيرا حتى إنه جمع ١٨٢ أغنية شعبية لمختلف دول العالم ضمها كتاب له بعنوان "أصوات الشعوب فى أغانٍ"، غير أنه لا توجد أغنية شعبية من الشرق العربى.

٣- الأخوان جريم

ياكوب (١٧٨٥-١٨٦٣) وفيلهيلم جريم (١٧٨٦-١٨٥٩)، عاشا ودرسا فى مدينة هاناو، وماتا ودفنا فى مدينة برلين، يعتبران مؤسِّسَىْ علم اللغة الألمانية، فلقد ألَّفا "قواعد اللغة الألمانية" و"تاريخ اللغة الألمانية" كما ألفا الأجزاء الأولى الستة من "قاموس اللغة الألمانية الحديثة"، ذلك العمل الضخم الذى يبحث فى نشأة واستخدام

المفردات اللغوية الألمانية ولم يكتمل هذا القاموس حتى الجزء الثانى والثلاثين منه إلا فى عام ١٩٦١ على يد مجموعة من العلماء اللغويين المتخصصين. يعتبر ياكوب جريم أول من جذب الانتباه إلى الخوض فى أغوار القصص الخيالية والأساطير الألمانية القديمة حتى إنه عمل أستاذا للتراث القديم فى مدينة جوتنجن عام ١٨٢٩، كما كان عضوا فى أكاديمية العلوم وأستاذا فى برلين. قام الأخوان جريم بجمع القصص الخيالية الألمانية ونشرها تحت عنوان "قصص خيالية للأطفال والأسرة" فى ثلاثة أجزاء صدرت على مراحل خلال الفترة ما بين عام ١٨١٢ وعام ١٨٢٢ ولقد تميزت هذه القصص بسهولة لغتها وتلقائية قصها، كما تم ترجمتها إلى معظم لغات العالم ولها تأثيرها الأدبى على المستوى العالمى نذكر منها "الذئب والعنزات السبعة" و"ذات الرداء الأحمر" و"سندريللا".

٤- هاينريش بول (١٩١٧-١٩٨٥)

الحاصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٧٢، ولد بمدينة كولن الألمانية فى ٢١ ديسمبر عام ١٩١٧، وهو أحد عمالقة أدب الحرب إلى جانب معاصره فولفجانج بورشرت وتوفى فى شهر يوليو عام ١٩٨٥ بمنزله فى كولن وهو فى منتصف العام الثامن والستين من عمره. يريد بول من خلال أعماله أن يهز القارئ ويلهب

أحاسيسه ويفتح عينيه على شرور العصر الذى يعيشه، كما أن معظم أعماله سرد لمعايشاته الخاصة خلال الحرب، وإن ما يميز كتاباته أنه يستخدم غالبا تكنيك الراوى، أى أن بطل القصة هو الراوى وأن جميع أبطاله يظهرون فى شكل ضحايا يستحقون الرثاء، لا سبيل لهم سوى تحمل مصيرهم السيئ، ولقد تأثر بول مثل معاصره بورشرت بنمط القصة الأمريكية القصيرة وخصوصا بقصص الكاتب الأمريكى إرنست هيمينجواى (١٨٩٩-١٩٦١)، وكان بول مثل معاصره بورشرت يتبع وسيلة تعبير بدأ فى استخدامها فرانس كافكا (١٨٨٣-١٩٢٤) وتأثر بها كثيرون من بعده، إنه أسلوب الكناية والمواربة وازدواجية المعنى. من أهم أعمال بول: "كان القطار دقيقا فى مواعيده" (١٩٤٩)، و"لم ينطق بكلمة واحدة" و"بيت بلا رقيب" و"عندما اندلعت الحرب" و"أين كنت يا آدم؟" و"آراء مهرج" و"صورة جماعية مع السيدة"، ومن المعروف أن بول انشغل بقضايا العمل السياسى القومى والعالمى وفى مقدمتها حركة السلام. هذا بالإضافة إلى أن له قصصا قصيرة تنال اهتمام القارئ داخل وخارج ألمانيا، وله على سبيل المثال كتاب صدر له يضم خمسا وعشرين قصة قصيرة.

٥- فولفجانج بورشرت (١٩٢١ - ١٩٤٧)

أحد عمالقة أدب الحرب فى ألمانيا، من مواليد مدينة هامبورج. اشتغل فى بداية حياته بائعا للكتب ثم ممثلا فى مدينة

لونيبورج، وفى عام ١٩٤١ استدعى للدفاع عن جبهة القتال الشرقية وأصيب هناك بجراح خطيرة ثم حكم عليه بالإعدام لتفوهه بتصريحات ضد الدولة، إلا أنه صدر عفو عنه ثم نزح مع القوات الألمانية إلى روسيا ووقع فى الأسر الروسى وانتابه مرض شديد، وعاد بعد الأسر بين الحياة والموت إلى مسقط رأسه مدينة هامبورج التى أصابها تدمير بالغ وتوفى هناك وهو فى السادسة والعشرين من عمره، وذلك قبل يوم واحد فقط من أول عرض لمسرحيته الدرامية المعروفة "خارجا أمام الباب" والتى تم ترجمتها إلى لغات عدة وتم عرضها أيضا خارج الأرض الألمانية. هذا وقد أبدع فولفجانج بورشرت فى كتابة القصة القصيرة، نذكر له على سبيل المثال: "ساعة المطبخ"، و"زهور الكلاب" و"الفئران تنام قطعًا بالليل" و"الملوك الثلاثة المظلمون" و"الخبز" و"الثلج الكثير الكثير".

٦- بيرتولت بريشت (١٨٩٨-١٩٥٦)

من مواليد مدينة أوجزبورج الألمانية، هرب عام ١٩٣٣ إلى أمريكا ثم عاد من منفاه عام ١٩٤٧ عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة ليتجه إلى سويسرا، وهناك تتلمذ على يديه كل من الراحلين السويسريين فريدريش دورينمات وماكس فريش، وانتقل بعد ذلك إلى برلين الشرقية حيث أسس هناك فرقته المسرحية المعروفة "بيرلينر

أنسامبل" عام ١٩٤٩ وذلك بالتعاون مع زوجته هيلينا فايجل التى قامت أيضا بتمثيل أدوار أساسية ومحورية فى معظم أعماله المسرحية. يعتبر بريشت رائد المسرح الملحمى فى ألمانيا والذى يحمل اسمه وأصبح مشهورا على المستوى العالمى. لم يكن بيرتولت بريشت كاتبا مسرحيا فحسب بل كان شاعرا مرهف الحس وصاحب نظريات فى عالم المسرح ومخرجا أيضا. تم ترجمه معظم أعماله إلى لغات أجنبية كثيرة وإلى العربية حيث تحكى قصة حرب الثلاثين عاما أيضا، وكانت مسرحيته "الأم شجاعة وأولادها" أولى ما ترجم له إلى العربية كما تم تقديم مسرحيات له على خشبة المسرح المصرى مثل "دائرة الطباشير القوقازية" و"القاعدة والاستثناء" كما أن له قصصا قصيرة وقصائد شعرية جيدة، ومن أعماله المسرحية أيضًا "حياة جاليليو" و"الإنسان الطيب من سيتسوان" و"أوبرا القروش الثلاثة".

٧- هانس بيندر

من مواليد ميولها وزن بالقرب من مدينة هايدلبرج الألمانية. أديب وقصاص وناشر وناقد، درس الأدب وتاريخ الفن فى كل من إيرلانجن وهايدلبرج. استدعى للخدمة العسكرية عام ١٩٤٠ ولمدة خمس سنوات ووقع فى الأسر السوفييتى وعاد منه عام ١٩٤٩

وعمل منذ عام ١٩٥٢ كناشر لصحف ومجلات أدبية. جميع أعماله الأدبية تتناول معايشاته الخاصة وكذا مشاكل جيل الحرب العالمية (الحرب وما بعد الحرب). له روايات وقصص قصيرة نذكر منها: "ذئاب وحمام" (١٩٥٧)، "فى سفينة البريد" (١٩٦٢) و"شىء مثل الحب" (١٩٥٤)، هذا وقد تأثر هانس بيندر بمشاهير كتاب القصة القصيرة من الأمريكان أمثال ستيفن كرين ودوروتى باركر وإرنست هيمنجواى ومن الروس أمثال تشيخوف وتولستوى وذلك حيث النمط القصصى الذى يتميز بالطابع النقدى الواقعى. ولاشك أن كل كاتب ألمانى أتت به الظروف خلال الحرب العالمية إلى روسيا لابد أن تكون فترة إقامته وتعامله مع البشر هناك قد تركت فى نفسه ذكريات، منها ما يتسم بالعمق لحلاوتها ومنها ما يتسم بالسطحية لمرارتها.

٨- يوهان بيتر هيبل (١٧٦٠-١٨٢٦)

من مواليد مدينة بازل السويسرية وهو أحد أدباء المذهب الواقعى فى ألمانيا إلى جانب رائده فريدريش هيبل (١٨١٣-١٨٦٣). درس علم التوحيد فى هايدلبرج وحصل على الدكتوراه الفخرية من جامعتها، ويعتبر هيبل إلى جانب هاينريش فون كلايست مؤسس فن كتابة النوادر الطريفة، ولقد قضى معظم سنوات حياته فى مدينة

كارلسروه حيث عمل مدرسا وأستاذا وراعيا فى كنيسة ولم يصبح ذائع الصيت كأديب إلا عام ١٨٠٣ من خلال قصصه التى لم يكتبها بالألمانية الفصحى بل كتبها بلهجة جنوب غرب ألمانيا. من أهم قصصه القصيرة التى كتبها: "لقاء لا أمل فيه"، و"القاضى الذكى"، و"ركوب غريب"، و"المريض الذى شفى".

٩- إلزه آيشينجر

كاتبة نمساوية من مواليد فيينا فى ١٩٢١/١١/١، قضت طفولتها فى مدينة لينتس وحصلت على الثانوية العامة من فيينا، تم تكليفها بالخدمة العسكرية واضطهدها النازيون. لم تكمل دراستها للطب واشتغلت فى دور النشر منذ عام ١٩٥٣ وهى متزوجة من الكاتب الألمانى المعروف جيونتر آيش الذى توفى عام ١٩٧٢. حصلت على عضوية اتحاد الكتاب الألمان المعروفة تحت اسم "المجموعة ٤٧" ونالت عدة جوائز تقديرية كثيرة. تعيش إلزه آيشنجر الآن مع زوجها فى منطقة أعالى إقليم البفاريا فى ألمانيا. تأثرت إلزه آيشنجر فى كتاباتها إلى حد كبير بكاتب الخوف واللا أمل والوجودية فرانس كافكا. من أعمالها رواية "الأمل الأكبر" (١٩٤٨) التى تحكى عن مصير مجموعة من الأطفال وقعوا ضحية الاضطهاد النازى وهم من أى ذنب براء، كما أن لها تمثيليات إذاعية كثيرة كلها تناشد الحفاظ على الإنسانية فى واقع خال من كل عاطفة ورحمة، ونذكر

لها أيضا قصتها بعنوان "خطبة أسفل المشنقة"، وفى عام ١٩٦٢ صدر لها مجلد يضم ٢٦ قصة قصيرة، كما أن لها رواية ظهرت عام ١٩٤٦ بعنوان "دعوة إلى عدم الثقة" تتساءل فيها عن الأدب والحقيقة.

١٠- إيبرهارد ميكيل

من مواليد فرايبورج الألمانية عام ١٩٠٧، درس العلوم الجرمانية وتاريخ الفن والفلسفة فى كل من برلين وميونخ وفرايبورج وحصل على دكتوراه الفلسفة. اشترك فى الحرب العالمية جنديا مقاتلا وأصيب بجروح بالغة وهو يعيش منذ عام ١٩٤٧ فى مدينة فرايبوج مسقط رأسه. حصل عام ١٩٥٦ على جائزة أكاديمية بافاريا للفنون، وقد ترجمت أعمال كثيرة له إلى الفرنسية والإنجليزية. من أعماله: "لقاء ثان مع الشباب" (١٩٤٠)، و"كونراد فيرديناند آديناور" (١٩٤١)، و"مجموعة أشعار" (١٩٥٠)، و"يوهان بيتر هيبل: أعمال ورسائل" (١٩٤٣).

١١- هاينريش ڤايس

من مواليد هيرشهورن الواقعة على نهر "نيكر". عمل فى بداية حياته مدرسًا ثم محررًا للصفحة الأدبية فى جريدة "باديشيه تسابتونج"

فى فرايبورج. له عدد من القصص القصيرة والتحقيقات الأدبية والإبداعية فى الجرائد والمجلات. من إنتاجه الأدبى "جبل الرعد، شكل وأقدار لطبيعة ألمانية" (١٩٣٩)، "المعركة البحرية عند زايد نكام" (١٩٣٩)، "أنماط الطفولة" (١٩٥٤)، "سلسلة جبال الألب من سينتيتس وحتى مونتبلانك من زاوية أعالة الغابة السوداء".

المترجم في سطور:

أحمد كامل عبدالرحيم

أستاذ اللغة الألمانية وآدابها بكلية الألسن جامعة عين شمس له العديد من الإسهامات والمقالات على الصفحات الأدبية فى الجرائد المصرية وفى المجلات الأدبية الثقافية المتخصصة فى مصر وخارجها، كلها تهدف أساسًا إلى التعريف بالدول المتحدثة باللغة الألمانية أدبًا ولغة وتاريخًا وثقافة مع الربط المقارن بين الثقافتين الألمانية والعربية.

له ترجمات عن الألمانية لروايات ومسرحيات وقصص أطفال منها ما صدر عن الهيئة العامة للكتاب والمجلس الأعلى للثقافة.

التصحيـــح اللغـــوى: أشـــرف عويس
الإشـــراف الفـــــنى: حـــــسن كامـــل
التصميم الأساسى للغلاف: شريف مكى

قصص قصيرة

من الأدب الألماني

شاءت الجهود الفنية لاختيار هذه القصص القصيرة وترجمتها من الألمانية أن تمثل جرعة أدبية متواضعة من الأدب الألماني، قديمه وحديثه، حيث تم اختيار نماذج من بعض العصور الأدبية بدءا من القرن السابع عشر متمثلا في رائد النهضة اللغوية مارتن أوبيتس؛ حيث نجد في الكتاب بضعة أبيات شعرية كي تكون مجرد استهلال ليس إلا، يجيء بعدها وهو الأساس نماذج قصصية قصيرة من حركة العصف والدفع متمثلة في رائدها يوهان جوتفريد هيردر، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر متمثلا في مؤسسي علم اللغة الألمانية ياكوب و فيلهيلم جريم، ثم أدب الحرب وما بعد الحرب متمثلا في كل من عمل في هذه الفترة الثرية بإنتاجها هاينريش بول و فولفجانج بورشيرت، ثم رائد المسرح الملحمي بيرتولت بريشت؛ حيث قصصه ذات الخلفية التاريخية والفلسفية والميثولوجية، وما لها من اهتمام عالمي حتى وقتنا هذا، ثم العصر الحديث متمثلا في كل من هانس بيندر وما يعرضه من انطباعات نقدية للحرب العالمية الثانية والأسر السوفيتي الذي وقع فيه مع يوهان بيتر هيبل أحد عمالقة الحركة الأدبية الواقعة على الأرض المتحدثة بالألمانية، وأخيرا قصص قصيرة أخاذة لكل من إلزة أيشينجر وإيرهارد ميكيل وهاينريش فابيس.

تصميم الغلاف: سيرين كمال